القسم الأول

وثيقة البابا المنشورة بمجلة الهلال

عرض ونقد

قلنا أن البابا قد أثار عدة قضايا فى مقاله المشار إليه فى مقدمة هذه المواجهة. وأنه جعل المعول عليه فى الاستشهاد هو القرآن الكريم ولما كانت تلك القضايا تختلف مع ما يعتقده المسلم. فإن إقامة الدليل عليها من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن العظيم، تعنى فيما تعنى واحدا من أمرين:

أحدهما : أما أن القرآن – دستور الإسلام – يدعو إلى الشىء وضده ويجعلهما فى درجة واحدة من الصحة والاعتقاد.

وثانيهما : أن كثيرا من العقائد التى يؤمن بها المسلم من أوثق مصادر الإسلام تصبح « باطلة » ما دام المخالف قد أقام الدليل من القرآن نفسه على صحة ما هو مؤمن به مما يخالف العقائد الإسلامية.

وكلا الأمرين خطأ وخطر ينبغى التصدى لهما الحجة بالحجة، والبرهان بمثله والذى يهمنا مما ذكره البابا عدة أمور:

أولاً : ادعاؤه صحة إيمان النصارى مع إنكارهم للإيمان بالإسلام؟!

ثانيا : ادعاؤه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف. وأن من يؤمن بأنهما محرفان فهو كافر خاسر؟!

ثالثا : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل. وأن القرآن يدعو إلى العمل بهما، فإن لم يعملوا بهما فهم ليسوا على شىء ...؟!

رابعا : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة رفيعة فى القرآن ترفعه فوق مستوى البشرى. ولم يتمتع بها أحد غيره...؟!

خامسا : ادعاؤه أن عقيدة « التثليث » التى يؤمن بها النصارى، لا تختلف عن عقيدة « التوحيد » عند المسلمين ؟!

ولولا أن البابا قد استشهد على هذه « العقائد » من القرآن الحكيم لما كلفنا أنفسنا كتابة سطر واحد فى الرد عليها. فالناس أحرار فيما يعتقدون. وإنما اضطررنا لمواجهتها هنا دفاعا عن عقائدنا وردا لاعتبار النصوص الإسلامية التى استكرهت على غير المراد منها استكراها غير محمود. والسكوت على هذا الاستكراه يوحى لشبابنا أن ما يدعيه مخالفو الإسلام صحيح وهذه هى الكارثة التى لا تبقى ولا تذر.

من أجل هذا. وهذا وحده، نضع هذه المواجهة للدفع وليس للهجوم والله يهدينا إلى سواء السبيل، ولنبدأ عملنا مستهدين بالله ربنا ورب كل شىء.

* * *

القضية الأولى : ادعاؤه صحة إيمان النصارى مع نكران الإسلام ...؟!

ذهب البابا فى مقاله إلى القول بصحة إيمان النصرانى مع نكرانه للإيمان برسالة محمد ﷺ، واستشهد على صدق مدعاه بكثير من النصوص القرآنية، وها نحن أولاء نوردها نصا نصا ونرد لها اعتبارها مزيلين عنها كل زيف أو غموض. موضحين خلوها تماما مما حملها عليه البابا فى مقاله المذكور.

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

﴿ ...مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٣ – ١١٤] فى هذه الآية الحكيمة ثناء من الله على أمة من أهل الكتاب، وصفها الله بالقيام وهو الاستقامة على الدين فى بعض الآراء، ثم بتلاوة آيات الله في الليل والناس نيام وبالسجود، والإيمان بالله واليوم الآخر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والمسارعة فى الخيرات، وكونهم من الصالحين.

وقد أغرت هذه الصفات «البابا شنودة» فانتزعها انتزاعا من كل الملابسات وحملها على أنها أوصاف للنصارى جاء بها صريح القرآن !

ثم مهد لهذا الادعاء فحذف من الآية الأولى صدرها، وهو «ليسوا سواء» موهما قارئه أن أصل الآية هكذا ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ... ﴾ ولولا أنه خشى افتضاح أمره لحذف كلمة «من» لتكون الآية هكذا ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ... ﴾ لأن «من» هذه لها دلالة قوية فى دحض مدعاه كما سيجىء.

وهذا الادعاء الذى ادعاه «البابا» مردود من كل الوجوه. وذلك لأن لهاتين الآيتين ارتباطا وثيقًا بالآيات التى سبقتها، وننقل للقارىء نسق الآيات كاملا ليشترك معنا فى فهم بطلان ما ادعاه البابا، وإليك ذلك النسق الحكيم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن

يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ ، ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ... ﴾ هذا هو نسق الآيات الحكيم . فقد سبق على هاتين الآيتين اللتين استشهد بهما البابا ثلاث آيات هى [١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، من آل عمران]. استهلت الآية الأولى منهما بقوله تعالى مخاطبًا أصحاب محمد ﷺ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ثم بين خصائص هذه الأمة وهى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والإيمان بالله ثم أردف على هذا قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ثم بين فى الآية رقم (١١٢) سوء حال أهل الكتاب، وقبح جرائمهم، فأوضح أن الذلة قد لازمتهم، والمسكنة قد شملتهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه بغير حق، وعصيانهم لله، واعتدائهم على حرماته.

هذه أحكام عامة جرت على أهل الكتاب. فهذا شأنهم، والمراد منهم هنا هم اليهود خاصة؟ لأنهم كانوا يعايشون المسلمين فى المدينة. وسورة آل عمران نفسها مدنية.

بيد أن هناك جماعة منهم قد أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وهم على ما ذكر المفسرون:

« اخرج أبو اسحق والطبرانى، والبيهقى، وغيرهم عن ابن عباس قال: لما أسلم عبدالله بن سلام، وثعلبة بن شعبة، وأسيد بن شعبة، وأسيد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا، ورغبوا فى الإسلام. قالت أحبار يهود، وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ورغبوا فى غيره فأنزل الله تعالى فى ذلك: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فالأمة التى يصفها القرآن هنا هم من أسلم منهم وحسن إسلامه وليس المراد وصف أهل الكتاب عامة[١].

---

(١) تفسير روح المعانى الألوسى (جـ٤ ص ٣٢) والفخر الرازى (جـ٨ ص ١٨٧) والكشاف للزمخشرى (جـ١ ص ٤٥٦) والقرطبى (جـ٤ ص ١٧٥) والنسفى (جـ١ ص ١٧٦) وأسباب النزول للواحدى (ص ٦٨) .

وقد نقل الواحدى فى أسباب النزول اشتراك مقاتل مع ابن عباس فى هذه الرواية.

وعلى هذا فإن الآية قد أخرجت من أسلموا من اليهود، والنصارى من تلك الأوصاف العامة التى هى شأن أهل الكتاب. وبينت أن أهل الكتاب ليسوا كلهم مستوين. فمن بقى منهم على كفره بمحمد ﷺ فحاله هو ما تحدثت عنه الآية المتقدمة «ضربت عليهم الذلة..» ومن أسلم منهم فحاله هو ما تحدثت عنه الآيتان: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ...﴾ و ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وهما اللبتان أراد البابا تسخيرهما لصدق مدعاه ...؟!

وسياق الآيات نفسه يبين إلى أى حد بلغ استخفاف «البابا» بحرمة النص والتهجم المكشوف عليه. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ فكيف يستقيم أن ينفى عنهم الإيمان وهم على حالهم من نكران رسالة محمد ﷺ، ثم يعود فيثبت لهم ذلك الإيمان المنفى عنهم وهم باقون على نكرانهم لم يتحولو عنه؟!

هذه واحد. والثانية:

إن قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ...﴾ فكلمة «من» تفيد «البعضية» ولا تفيد «العموم» وتلك البعضية تحققت بالذين خرجوا من عقيدة اليهود، والنصارى بأسلامهم وإيمانهم برسل الله جميعًا ولم يفرقوا بين أحد منهم، وتلك هى عقيدة المسلمين.

هذه هى الثانية، والثالثة:

أن فاصلة الآية الكريمة جاءت على هذا السياق «وهم يسجدون» فهل فى صلاة اليهود والنصارى سجود كما هو فى صلاة المسلمين؟!

أن هذه الدلائل جميعًا تؤكد بوضوح لدى المسلم وغير المسلم أن الآيتين اللتين استشهد بهما «البابا» على صدق مدعاه بعيدتان كل البعد عما أراده منهما فبقيت دعواه وهما من الأوهام.

ويستشهد «البابا» بقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

وهدف «البابا» من ذكر هذه الآية - كما أفصح عنه كتاب «استحالة تحريف

الكتاب المقدس» كما سيأتى – هو أن المراد من الكتاب هو الكتاب المقدس وعلى هذا فإن المراد من «الذين آتيناهم الكتاب» هم النصارى. فهم يتلونه حق تلاوته، ويؤمنون به، ومن لم يؤمن به سليما غير محرف، وهم المسلمون، فهم الخاسرون الكافرون؟!

فقد ورد فى كتاب: «الاستحالة» ما يأتى تعليقًا على هذه الآية الكريمة: «كما يؤكد القرآن ما سبقت الإشارة إليه من أن الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس يكونون **خاسرون** (هكذا برفع المنصوب!) فكيف يكونون خاسرين إذا كان الكتاب المقدس محرفًا»(١).

هذه هى دعواهم فهل لها وجه من الصحة؟!

جاء فى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ما يأتى:

«المراد بالذين آتيناهم الكتاب» من هم؟ فيه قولان:

القول الأول: أنهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن. واحتجوا عليه من وجوه (أحدها) أن قوله «يتلونه حق تلاوته» حث وترغيب فى تلاوة هذا الكتاب، ومدح على تلك التلاوة، والكتاب الذى هذا شأنه هو **القرآن** لا **التوراة** ولا **الإنجيل**، فإن قراءتهما غير جائزة (وثانيها) أن قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾ يدل على أن الإيمان مقصور عليهم، ولو كان المراد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لما كان كذلك، – لإن الإيمان ليس مقصوراً عليهم – (وثالثها) قوله: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ والكتاب الذى يليق به هذا الوصف هو القرآن.

القول الثانى: أن المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا بالرسول من اليهود. والدليل عليه تقدم ذكرهم... فلما ذم طريقتهم – يقصد وصفهم فى قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ – وحكى سوء أفعالهم أتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها صحة نبوة محمد عليه السلام(٢).

ونقل القرطبى فى تفسيره الرأيين، عزا الأول إلى قتادة القائل بأن الذين آتيناهم الكتاب هم أصحاب الرسول عليه السلام، وعزا الثانى إلى ابن زيد القائل بأنهم هم الذين أسلموا من اليهود(٣).

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس (ص ٦٣) ط ثانية.

(٢) تفسير الرازى (جـ ٤ ص ٣٢).

(٣) تفسير القرطبى (جـ٢ ص ٩٥) وانظر معه تفسير النسفى (جـ١ ص٧٢).

ويقول الإمام الزمخشرى فى كشافه :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ ﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بكتابهم دون المحرفين « ومن يكفر به، من المحرفين » ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى »(١).

وعلى هذا فإن المراد من « الكتاب » عند الزمخشرى هو التوراة والإنجيل حالة كونهما مصونين من التحريف مشتملين على البشارة برسول الله – محمد – ﷺ ، والإيمان بالتوراة والإنجيل بهذا الشرط متضمن للإيمان بمحمد ﷺ وكل الرسل.

أما الإمام الألوسى فيرى – مثل غيره – أن المراد بالذين أتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى استثناء لهم ممن بقي على الكفر منهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾..

ويجوز في الوقت نفسه أن يكون المراد منهم هم أصحاب رسول الله ﷺ وهذا الرأى يتردد كثيراً عند المفسرين، كما جوز أن يكون المراد هم جميع الأنبياء والرسل وهذا الرأى انفرد به الإمام الألوسى فيما أعلم.

أما المراد من الكتاب عنده فهو الكتاب المنزل على موسى « التوراة » والمنزل على عيسى عليهما السلام « الإنجيل » على الرأى الأول، وعلى الرأى الثانى المراد منه القرآن وعلى الرأى الثالث المراد منه جميع الكتب المنزلة(٢).

وبناء على كل ما تقدم فليس للبابا أية حجة يفيد منها فى هذه الآية، وذلك لأن:

أولاً – إذا كان المقصود منها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمقصود من الكتاب فيها التوارة والإنجيل فإن شرط امتداحهما كون الكتاب مصونا من التحريف وباقيا كما أنزله الله، وكونهم مؤمنين به على تلك الصفة، وهى تقتضى ضرورة الإيمان برسول الله – محمد – ﷺ ، وإيمانهم بهما (التوراة والإنجيل) مجردا عن تلك الصفة لا اعتبار له.

ثانيـا – وإذا كان المراد من الكتاب القرآن الكريم، والمراد من الذين أوتوه هم أصحاب محمد ﷺ فما أبعد الآية عما أراده منها البابا؟!

---

(١) الكشاف (جـ١ ص ٣٠٨) .

(٢) روح المعاني للإمام الألوسى (ط ١ ص ٣٧٢ وما بعدها).

ثالثًا – وحتى لو كان المراد من الذين أوتوا الكتاب هم الرسل جميعًا، وهو رأى بعيد كما نص على ذلك الألوسى نفسه، فالآية أوغل فى البعد من مقصود البابا وهذا أمر لا يحتاج إلى توضيح. فبقيت دعواه معراة من كل دليل أو حتى شبه دليل.

ثم يقول البابا بعد ذلك « بل أكثر من هذا وضع القرآن النصارى فى مركز الافتاء فى الدين؟! ثم يستشهد على هذه الدعوى بآيتين من القرآن الكريم، **إحداهما** قوله تعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس : ٩٤].

وقد استهدف البابا من سوق هذه الآية أن يقول : أن اليهود والنصارى كانوا « معلمين » لرسول الإسلام، وقد أفصح كتاب « الاستحالة » أن هذه الآية تدل على أن النصارى بكتابهم « المقدس » كانوا مصدرا للوحى وللرسالات والشرائع السماوية[1]؟!

وليس الأمر كما توهم البابا وأتباعه، ولكى لا يكون عند القارىء ريب فى دفع هذا التهجم على هذا النص الحكيم ننقل ما قاله المفسرون فى توجيه هذه الآية ثم نتبعه بدليل آخر يدفع هذه الشبهة دفعا فلا يبقى لها على أثر حتى عند متوهميها ومتولى كبرها. والدليل الذى سوف نسوقه أمام القارىء مستمد من القرآن نفسه. ولنبدأ – الآن بما قاله المفسرون :

فالإمام القرطبى يذهب إلى أن الخطاب فى الآية للنبى والمراد غيره، وينقل عن أبى عمرو محمد بن عبدالواحد أنه قال : سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان : « فإن كنت فى شك » أى قل يا محمد للكافر فإن كنت فى شك . . فاسأل الذين يقرأون الكتاب . . . » والمراد بالكافر – هنا – عبدة الأوثان. وهذا الرأى يبدو عليه أثر الضعف فى الواقع؟ كما ذهب إلى القول بأن الخطاب فى ظاهره وباطنه للنبى عليه السلام، والمعنى عليه : لو كنت يلحقك شك فيما أخبرناك فاسأل . . وفسر الشك بضيق الصدر من عناء الدعوة والمسئول عنه هو – كما يرى القرطبى : ما لقيه الرسل السابقون من عناء قابلوه بالصبر؟ كما ينقل رأيا آخر هو أقرب إلى الاعتقاد مؤداه : أن الفاء مع حروف الشرط لا تثبت الفعل ولا توجيه . ثم قال والدليل عليه ما روى عنه ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية « والله لا أشك »[2].

---

(١) انظر (ص ٦٠) منه .

(٢) تفسير القرطبى (جـ٨ ص ٣٨٢) .

وهذا الذى رواه أخيراً ورد عند بعض المفسرين مع زيادة « ولا اسأل بل أشهد أنه الحق »[1].

أما الإمام الفخر الرازى فيفيض فى توجيه الآية على طريقته فى التحليل المسهب وها نحن أولاء نعرض ما قاله فى إيجاز وتصرف غير مخل.

قال: وفى الآية مسائل:

المسألة الثانية[2]: اختلف المفسرون فى أن المخاطب بهذا الخطاب من هو؟ فقيل النبى عليه السلام، وقيل غيره. أما من قال بالأول فاختلفوا على وجوه:

الوجه الأول: أن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام فى الظاهر والمراد غيره، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ** ﴾ وقوله: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾ ويحتج الرازى لهذا الوجه بقوله تعالى فى آخر السورة: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ . . .** ﴾ فبين أن المذكور فى الآية الأولى على سبيل الرمز، هم المذكورون فى هذه الآية على سبيل التصريح.

وينفى الإمام الرازى أن يكون الشك حاصلا بالفعل للرسول عليه السلام فيقول: « ولو كان النبى شاكا فى نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك بأخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم فى الأكثر كفار. . .، وقد تقرر أن ما فى أيديهم من التوراة والإنجيل فالكل مصحف محرف، فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وإن كان فى الظاهر مع الرسول ﷺ إلا أن المراد هو الأمة، ومثل هذا معتاد » ثم يقول موجها الآية على رأى من قال أن المخاطب غير الرسول فى الحقيقة دون الظاهر:

وأما الوجه الثانى: فتقريره أن الناس فى زمانه كانوا ثلاثة أقسام: المصدقون به، والمكذبون له، والمتوقفون فى أمره الشاكون فيه، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال: إن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته. . . ثم حذره - أى الشاك - أن يكون

---

(١) الكشاف (جـ ص ٢٥٣) والنفى (جـ ٢ ص ١٧٦) وروح المعنى للألوسى (جـ ١١ ص١٩٠).

(٢) أهملنا المسألة الأولى لأنها بحث لغوى فى معنى الشك لا ضرورة له هنا.

من الفريق المكذب بالنبوة فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

وعلى كلا الرأيين فإن الآية تخلو مما يريده البابا وشيعته. وسيأتى توضيح آخر لهذا المعنى.

ويقول الإمام النسفي: «لما قدم ذكر بنى إسرائيل .. ووصفهم بأن العلم قد جاءهم(٢) لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب فى التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ يبالغ فى ذلك فقال: فإن وقع لك شك - فرضا وتقديرا - فسل علماء أهل الكتاب فالمراد وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله بالشك فيه»(٣).

وإلى مثل هذا الرأى يذهب الإمام الألوسى. فالخطاب - عنده - للرسول عليه السلام لفظا وقصدا. ولكن الشك فرضى تقديرى - كما يقول الإمام النسفى - والمقصود من هذه الآية التعريض بأهل الكتاب وتوبيخهم على ترك الإيمان، لأن ما بأيديهم من كتب تشهد بصحة نبوته - ﷺ - ولكنهم من حقدهم على صاحب الرسالة كتموا ما لديهم من شهادة الحق. يقول الألوسى بعد بيان هذا: «وليس الغرض إمكان وقوع الشك له ﷺ أصلا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حين جاءته هذه الآية على ما أخرج عبدالرزاق وابن جرير عن قتادة «لا أشك ولا أسأل»(٤) هذه خلاصة أمينة وافية لآراء خمسة من كبار المفسرين، وكلها - كما ترى - بعيدة كل البعد عما أراد البابا وأشياعه حمل الآية عليه. على أننا أهملنا رأى من يقول منهم بأن المراد من «الذين يقرأون الكتاب من قبلك» هم من آمن وأسلم منهم، لأننا رأينا فى روح المعانى للألوسى(٥) نقداً وجيها يدفع هذا الرأى وهو أن سورة يونس التى تضمنت هذه الآية مكية النزول، وعبدالله بن سلام ومن أسلم معه من اليهود إنما كان إسلامهم بالمدينة فلا وجه لحمل الآية عليهم، وهذا نقد صائب كما ترى.

---

(١) التفسير الكبير للرازى (جـ ١٧ ص ١٦٠).

(٢) يقصد قوله تعالى قبل آية الشك «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم».

(٣) تفسير النسفى (٢ ص ١٧٦).

(٤) تفسير الألوسى (جـ ١١ ص ١٩٠).

(٥) ليس فى الألوسى هذا التفصيل وإنما الذى جاء فيه لمحة عابرة إلى هذا المعنى.

أما الدليل الذى كنا قد وعدنا به – وقد كنت أظن قبلا أن أحدا لم يهتد إليه، ثم سررت أيما سرور حين رأيت الإمام الألوسى ينص عليه فى تفسيره فحاصله:

أن فى القرآن الكريم نصوصا كثيرة خوطب بها ﷺ تفيد فى ظاهرها أنه لو حدث منه أمر – شرط – أو استقر لديه، لترتب عليه أمر آخر – مشروط – منه هو نفسه، أو من الله. والواقع أن الله يعلم أن ذلك الأمر – الشرط – لن يقع منه ﷺ أو يستقر لديه. فالمشروط – كذلك لن يقع.

وقد أشار الألوسى إلى الشق الأول من هذا النهج ببعض آية، ونحن نذكرها بتمامها ليكون المراد أبين. وهى قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٥] .

أننا نعلم أن الرسول عليه السلام كان شديد الحرص على إيمان قومه، يحزنه إعراضهم لأنه يعلم لهم من الخير ما لا يعلمون. فأراد الله أن يسرى عن رسوله ويخفف عنه وطأة صدورهم فقال له: إن كان إعراضهم قد ثقل عليك لأنك حريص على هداهم – وهذا الثقل حاصل عنده ﷺ – فرتب الله عليه شرطا وجزاء وهو يعلم أن كليهما لا سبيل إليه، فقال لرسوله إن استطعت أن تتخذ سربا فى الأرض غائصاً فيها إلى الأعماق، أو استطعت أن تتخذ لك سلما تصعد على درجة إلى أعلى الآفاق بحثا عن آية تأتيهم بها من قبلك ليؤمنوا الإيمان الذى تحرص عليه منهم فافعل[1] فالله يعلم أن محمدا لا يستطيع من تلقاء نفسه أن يتخذ النفق أو السلم. فالشرط ممتنع وكذلك الجزاء.

والسر البيانى لهذا الأسلوب – والله أعلم – أن يعلم الله رسوله أنه لو بذل فى سبيل إيمانهم كل ما يستطيع وفوق ما يستطيع فلن يؤمنوا . فعلام تحزن – إذن – والإتيان بالآيات وعدمه عند هؤلاء سواء ؟

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦].

---

(١) يلاحظ أن جزاء الشرط فى الآية محذوف لظهوره من سياق الكلام وقد قدره القرطبى بقوله « فافعل » وعنه نقلناها أنظر تفسيره (جـ ٦ ص ٤١٧) .

ومثل آية الأنعام فى انتفاء الشرط والجزاء قوله تعالى:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ[1] مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠].

فاتباع أهواء اليهود والنصارى من قبل الرسول عليه السلام ممتنع، وكذلك امتنع - تبعا له - تخلى الله عن رسوله، فقد كان له - دائماً - منه ولى ونصير.

والسر البيانى - فيما أرى - هو شناعة هذا الاتباع وأن الله يتخلى عمن يفعله ولو كان رسولاً.

وهذا منهج معروف فى التقويم والتربية حتى أن الرسول عليه السلام قد لجأ إليه فى بعض المواقف حين توسط لديه بعض أصحابه فى العفو فى امرأة من شريفات القوم سرقت وهم عليه السلام بقطع يدها. قال للوسيط : والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها».

فبين للناس جلال الحق الذى يؤمن به واستواء الناس أمامه فى إقراره وتنفيذه حتى يقطع مطمع كل طامع فى مثله، وهو عليه السلام لا يتوقع أن فاطمة تسرق، فلا يقطع يدها؟ ولكنه الاصرار على جلال الحق وإنفاذه ولو وقع المحال.

أما الشق الثانى من المنهج المشار إليه، وهو أن يستقر لدى الرسول أمر، ثم يترتب عليه أمر آخر، وكلاهما منفيان فقد استشهد عليه الإمام الألوسى بقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف : ٨١].

وللمفسرين فى توجيه هذه الآية مذاهب، نقتصر ما يدخل فى منهجنا منها وهو أن المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذين يدعون أن لله ولدا ، لو ثبت أنه له ولد فأنا أول من يعبد ولده لأنى أعلم منكم بما يجب لله من تعظيم، ولكن لم يثبت أن لله ولدا، فأنا أعبد الله موحدا له عن الشريك، ومنزها له عن الولد والصاحبة[2] وللإمام الزمخشرى فى توجيه الآية كلام قيم نورده بنصه قال بعد أن ذكر الآية:

---

(١) هذا جواب القسم لخلوه من الفاء ساد مسد جواب الشرط لقول مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت.

(٢) فى هذه الصياغة تصرف غير مخل، انظر - إن شئت - تفسير القرطبى (جـ ١٦ ص١٢٠).

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلون بها « فأنا أول » من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته، والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك العظيم أبيه.

ثم يقول:

« وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض هو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه فى باب التوحيد. وذلك لأنه علق العبادة بكينونة الولد، وهى محال فى نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها. فهو فى صورة إثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ».

ثم يقول: ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له: أما والله لأبدلنك نارا تلظى. (قال سعيد) لو عرفت أن هذا لك ما عبدت إلها غيرك »[1]؟! يتهكم به.

وحاصل كلام الزمخشرى هو أن كينونة ثبوت الولد، وحصول العبادة المرتبة عليها جاءتا فى صورة الاثبات لفظا. مرادا به النفى معنى. وهذا ما يسمى بالتوصل إلى نفى الأمر عن طريق اثباته، وهو من أبلغ أساليب النفى وأقواها يفحم بها الخصم فلا يبقى لديه ما يقول.

ويقوى هذا المعنى ما نصل عليه فى شروح التلخيص[2] من أن الأصل فى أن الشرطية أن يكون شرطها وجزاؤها فعلين مستقبلين، فان كانا ماضيين أو كان الجزاء جملة أسمية خرج المعنى إلى التعريض بغير المخاطب. وطبقوا - أى شراح التلخيص ... هذه النظرية على قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ لأن أن الأصل فيها الدخول على الممكن، ووقوع الشرك من النبى عليه السلام محال شرعا وواقعا فنزل منزلة المحال العقلى، فإذا علم عليه السلام عدمه الشرك من نفسه علم أن المراد بهذا الوعيد هو غيره ممن يجوز منه وقوع الشرك.

والآية التى استشهد بها البابا فعل الشرط فيها ماض « فإن كنت » وجزاؤه أمر، « فأسأل » والأصل فيهما أن يكونا مضارعين. ووقوع الشك منه عليه السلام محال، لأنه لو شك هل هو رسول أم غير رسول لبطلت الشريعة بالكلية - كما يقول الفخر

---

(١) انظر الكشاف (جـ٣ ص ٤٩٧) . (٢) (جـ٣ ص ٦١ وما بعدها) .

الرازى[1] – وليس أهل الكتاب بأوثق عند الله حتى يزيلوا شكا لو وقع منه على هذا فإن المراد من الآية الكريمة هى التعريض بأهل الكتاب، وحثهم على أن يظهروا ما كتموا من العلم بصحة نبوته، وتسجيل عليهم فى حالة استمرارهم على الكتمان بقباحة صنيعهم وإصرارهم على الكفر، مع فضح أمرهم عند الناس واظهار كفرهم بما فى أيديهم من التوراة، والإنجيل، حيث أنهم يؤمنون ببعضهما وهو ما وافق هواهم، ويكفرون ببعضهما الآخر، وهو ما لم يوافق هواهم، ومنه الاقرار بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ.

ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤٥ – ١٤٦].

والفريق الذى يكتم الحق منهم هو من ظل على كفره. فهل بعد ذلك يقال. أو يصدق إذا قيل أن أهل الكتاب جعلهم القرآن فى مركز الافتاء والمشورة الدينية، أو كان ما بقى معهم من التوراة والإنجيل بعد تحريفهما، مصدر للوحى وأصل للشرائع السماوية؟! ما أوهن هذا القول وما أبعده عن الصواب حتى عند قائليه؟!

أما الآية الثالثة التى استشهد بها البابا فهى قوله تعالى:

﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٧].

وسياق الآيات – هنا – يفيد أن الخطاب فى الأصل لمشركى مكة، حيث حكى عنهم القرآن الأمين قولهم: ﴿ **وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣].

اعتقدوا أن الرسالة لا تجامع البشرية، وانكروا رسالته ﷺ بناء على هذا الاعتقاد الخاطىء، فرد عليهم القرآن الحكيم قائلاً: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ** ﴾ أى هم ليسوا ملائكة وإنما بشر مثلكم.

---

(١) الموضع السابق من تفسيره.

ثم قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وفى تفسير أهل الذكر رأيان أقواهما أنهم أهل التوراة والإنجيل، وثانيهما أنهم أهل القرآن وروى هذا عن على رضى الله عنه.

وأيا كان المسئول فإن السائل هم كفار مكة، وكثيرا ما كانوا يسألون أهل الكتاب فى أمر الرسالة والرسول ﷺ، فأحالهم الله عليهم ليسألوهم هل ما تجدونه فى توراتكم وإنجيلكم فى شأن رسل الله أهم من الملائكة أم من البشر؟!

فالسائل كافر - حتى وقت السؤال - والمسئول مثله ما لم يسلم. إذن ينتفى ما توهم البابا وشيعته، فليس السائل هو النبى ﷺ، ولا هو أحد من المسلمين.

ولا يخامرنا أدنى شك فى أن اليهود والنصارى المعاصرين لعصر النزول كانوا يعلمون حقيقة التوراة والإنجيل على نفس الوجه الذى أوحاهما الله به فلو صدقوا فى إجابتهم السائل لدفعتهم الحجة بصدق القرآن وهذا ما لم يفعله الكثير منهم إلا من عصمه الله فآمن.

على أننا على استعداد أن نسلم للبابا بصحة استشهاده بهذه الآية ولا ننازعه فى شىء مما أراده، ولكن بشرط أن يلتزم هو وشيعته بكل النتائج التى تترتب على هذا.

فالسؤال الذى طلب القرآن أن يوجه إلى أهل الذكر هو: هل رسل الله من الملائكة أم من البشر، من عهد آدم إلى عيسى عليهم السلام. السائل يعتقد أنهم من الملائكة. وهذا خطأ مطلوب تصحيحه. والمصحح هم أهل الكتاب؟ فماذا يكون جوابهم إذن؟ أيقولون أنهم ملائكة، فيقعون فى نفس الخطأ المطلوب تصحيحه؟ وإذن فليسوا هم بأهل للإفتاء؟ أم يقولون أنهم بشر وهو المطلوب؟

وأيا كانت الإجابة فالبابا وشيعته قد خسروا الجولة. لأنهم يعتقدون بالوهية عيسى عليه السلام. والإجابة سواء كانت بالملائكية أو البشرية تنفى - فى وضوح - ألوهية عيسى السلام. فهو **إما ملك**، وهو احتمال بعيد لاستبعاد الإجابة به - كما تقدم - لأنها لا تصحح الخطأ المسئول من شأنه. **وإما بشر** وهذا هو المطلوب. ويوم يسلم البابا وشيعته بهذا - ليسلم له استشهاده بالآية - فقد ضاقت شقة الخلاف بيننا والأمل فى الوفاق يكون أكبر. أما إذا رفض، فنحن - وهذا من حقنا بل من واجبنا - نرفض صحة استشهاده، فليس له فى الآية أى دليل؟!

وإلى هنا نكتفى فى مناقشة القضية الأولى، وملحقاتها - التى أثارها البابا ولننتقل الآن إلى القضية الثانية، وهى :

● **القضية الثانية : ادعاؤه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف ؟ !**

وهذه القضية لا تهمنا - كذلك - ألا من حيث أن البابا ، وشيعته قد اعتدوا اعتداء صارخا على نصوص القرآن الحكيم، واتخذوا منها دليلا على صحة مدعاهم فيها . اتخذوا من هذه النصوص « مقدمات مسلمة » فى نظرهم، ثم راحوا يستخرجون منها النتيجة حسب تصورهم ليجعلوها - مسلمة - كذلك فلا ينازعهم فيها أحد . وها نحن أولاء نستعرض تلك النصوص فنرد لها اعتبارها، ونستردها هى ممن « استلبوها » عنوة وبغير حق. متوصلين منها إلى بطلان ما أدعوه فى غير تجن أو مماحكة، كما صنعوا هم. وإليك أقوالهم فى توجيه نصوص القرآن :

يقول البابا :

« يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله » وهذا الشق لا نختلف معه فيه مع تحفظ يعلمه كل مسلم، والآن فانظر إلى ما قاله بعد هذا: « . . . يجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله »؟! وهنا نقول للبابا: قف فالقرآن ليس فيه ذرة مما قلت اللهم إلا وجوب الإيمان به ولكن بحسب ما أنزله الله فى حينه، أما وجوب قراءته على من ذكرت فنرجوك أن تعلن أسفك على ادعائه وإلا فدلنا على الموضع الذى هو فى القرآن يحتم هذا الوجوب، والذى علمته أنت ولم يعلمه أحد سواك ؟

ثم يذكر البابا قوله تعالى :

﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ٣ - ٤].

وقوله تعالى :

﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾

[المائدة : ٤٦ ـ ٤٨] . ويقف البابا عند هذا الحد من الآيات، ويأبى أن يذكر بقية الآية الأخيرة وهى: ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ .

ثم يعلق البابا على هذه النصوص فيقول:

« وكون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب فهذا يعنى صحة التوراة والإنجيل وسلامتهما من التحريف. وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف »؟ ثم يقول:

« وكذلك لو كان التوراة والإنجيل لحقهما التحريف ما كان يأمر قائلاً « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . . » بل ما كان يصدر ـ أيضًا ـ ذلك الأمر ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ انتهى كلامه.

والذى حمل البابا على هذا الكلام أمور: **أحدها** أن القرآن وردت فيه هذه العبارة ﴿ **مصدقا لما بين يديه** ﴾ كثيرا، ووردت فى الآيات التى ذكرها البابا أربع مرات.

وثانيها: أن القرآن امتدح كلا من التوراة والإنجيل فى مواضع متعددة ومنها ما ذكره البابا.

وثالثها: الأمر بأن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿ **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل** ﴾. فتمسك البابا بهذه « العموميات » وراح يستولد ما شاء منها من النتائج كما رأينا.

(وقفة مع هذه الآيات) . .

والآن، فلنقف مع هذه الآيات وقفة فاحصة لنتبين من خلالها أهى كما أراد منها البابا، أم أنها تدل دلالات أخرى عليه، وليست له، قال الإمام الرازى فى معنى « مصدقا لما بين يديه » أنه مصدق لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما أخبروا به عن الله عز وجل . .

ويبين رضى الله عنه السر البيانى لهذا الوصف فيقول: « أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب، لأنه كان ـ

يعنى النبى عليه السلام – اميا لم يختلط بأحد من العلماء .. ولا قرأ على أحد شيئًا ... لأن المباحث الإلهية لا تختلف فى ذلك فهو مصدق لها فى الأخبار الواردة فى التوراة والإنجيل »[1].

والمباحث الإلهية التى اتحدت فى الحديث عنها كل الكتب السماوية هل هى الآن فى التوراة والإنجيل كما هى فى القرآن؟ البابا يعلم أن البون شاسع جدا بين القرآن، وبين الكتاب المقدس. فهل هو ما يزال يصر على موقفه من سلامة التوراة والإنجيل من التحريف مع هذا التفاوت؟!

أن العبارة القرآنية ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ سواء كان من الكتاب أو التوراة أو الإنجيل، فإنما هى حكاية حال ماضية مراعى فيها عصر النزول والسلامة. لا باعتبار ما هما عليه الآن وبعد عصر النزول.

ويقول الإمام الألوسى فى توجيه « وانزل التوراة، والإنجيل من قبل، هدى للناس ».

« أى انزلهما – كذلك – لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذى من جملته الإيمان به ﷺ، واتباعه حين يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام، والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن إنما هى من هذا الوجه لا غير. والقول بأن يهتدى بهما أيضًا فيما عدا الشرائع المخصوصة من الأمور التى يصدقها القرآن ليس بشىء؟ لأن الهداية إذ ذاك بالقرآن المصدق لا بهما كما لا يخفى على المنصف »[2].

وفحوى هذا الكلام، أن دور التوراة والإنجيل فى الهداية انتهى بنزول القرآن لأنه نسخهما. والجميع مدعوون للإيمان به. وحتى الأمور التى لم ينسخها القرآن من الترغيب فى الصدق والأمانة مثلا إنما المرجع فيها إلى القرآن لا إلى التوراة ولا إلى الإنجيل. تلك هى سنة الله فى إرسال الرسل، وهداية الناس.

أما آيات المائدة الثلاث، فقد خرجها العلماء بما لا يدع للبابا وأمثاله أدنى شبهة يتمسكون بها.

فقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ لا ينازع فيه أحد . فما جاءفى الإنجيل كان مصدقا لما جاء فى التوراة آنذاك،

---

(١) التفسير الكبير (جـ ٧ ص ١٦٢) . (٢) روح المعانى للألوسى (جـ ٣ ص ٧٧) .

إلا البعض الذى نسخه الإنجيل وكان مقررا فى التوراة تخفيفا على بنى إسرائيل وهذا هو ما حكاه القرآن الأمين عن عيسى السلام حيث جاء فيه على لسانه: ﴿ **وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [آل عمران : ٥٠] (١).

والذى أحله لهم هو: أكل الشحوم، وكل ذى ظفر(٢). وكان محرما عليهم فى التوراة أما التحريف فقد حدث بعد ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ** ﴾ ففيه قراءتان فى الفعل «ليحكم» فقرأ الأعمش وحمزة بنصب الفعل لأن «اللام» عندهما لام كى. وعلى هذه القراءة يكون المعنى «آتيناه الإنجيل .. هدى وموعظة ولكى يحكم أهله بما أنزل الله فيه».

والقراءة الثانية لجمهور القراء. وهى بجزم الفعل «وليحكم» لأن اللام عندهم لام الأمر. والمعنى عليه «ليحكم أهل الإنجيل فى ذلك الوقت أما الآن فهو منسوخ. ذكر هذين الرأيين القرطبى فى تفسيره»(٣).

ويجيب الفخر الرازى على سؤال مهم أورده هو حاصله: فإن قيل كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الإنجيل بعد نزول القرآن.

ثم قال رضى الله عنه:

قلنا الجواب عنه من وجوه:

الأول: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ وهو قول الأصم.

والثانى: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه «زجر لهم عن تحريفما فى الإنجيل مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة. فالمعنى بقوله: «وليحكم وليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذى أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل»(٤).

ومما تمسك به البابا فى مقاله، واشياعه فى كتاب «الاستحالة» قوله تعالى فى آيات المائدة المتقدمة:

﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾

وخدعتهم عبارة للزمخشرى فى الكشاف جاء فيها:

---

(١) آل عمران (٥٠) وقيل المعنى: ما حرمه علماء بنى إسرائيل من عند أنفسهم.

(٢) تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٩٧). (٣) انظر (حلى ٦ ص ٢٠٩).

(٤) التفسير الكبير للرازى (جـ ١٢ ص ١٠).

« ومهيمنا عليه » ورقيبا على سائر الكتب، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات »[1] .. وعبارة الزمخشرى لا تعنى شهادة القرآن لسلامة التوراة والإنجيل من التحريف – كما هما عليه الآن – وإنما تعنى أن القرآن حكى ما أنزل الله فيهما من أصول العقائد والدعوة إلى التوحيد والبشارة بخاتم النبيين. وكيف يجوز على إمام محقق كالزمخشرى أن يقع فى هذا الخطأ الجسيم، وهو الذى قال بعد هذه العبارة بقليل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة: ٥١] « أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر »[2] ..؟!

ومن معانى هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة أنه احتوى على جواهر معانيها وزاد عليها بما ليس فيها، وصحح كثيراً مما الحقوه بها من تبديل وتغيير. وقد رأيت فى روح المعانى للألوسى ما يؤيد هذا المعنى ويقويه وكان مما قال: « قرر أصول شرائعها، وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة »[3].

ويذكر البابا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ١٣٦].

ويقول معلقا عليها:

« وتلاحظ فى هذا النص أنه قال: كتبه ولم يقل كتابه، فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورا للمتقين »؟!

وتعليقا على هذا التعليق نقول:

أننا مؤمنون بجميع الكتب الإلهية، وبالرسل الذين أنزلت عليهم. فنحن جاهزون ومخضرمون فى هذا الميدان. فعلى أهل الكتاب « يهودا ونصارى » أن يكونوا مثلنا مؤمنين بكل الكتب والرسل.

وإذا كان البابا يؤمن بهذه الحقيقة التى يدعو إليها « الإيمان بجميع الكتب الإلهية » فلماذا لا يؤمن بالقرآن ليكون قدوة لمن سواه من النصارى أليس القرآن كتابا إلهيا مثل التوراة والإنجيل والزبور؟ إذن فيجب أن يؤمن به ليطابق القول العمل؟

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٦١٨).

(٢) الكشاف (جـ ١ ص ٦١٩) ؟!

(٣) روح المعانى (جـ ٦ ص ١٥٢).

أم يقول : إنه غير إلهى؟ ليقل ما شاء فنحن لا نكره أحدا فى الدين وإنما الذى نقوله، وبملء أفواهنا :

إذا كنتم تعتقدون أن القرآن كتابا إلهيًا فيجب أن تؤمنوا به وتذعنوا له.

وإذا كنتم لا ترون أنه كتاب إلهى فنرجوكم، ونلح فى الرجاء أن لا تستشهدوا به ولا تجروه على ألسنتكم، ولا تخطوه بأقلامكم، ولا تسطروه فى منشوراتكم. وهذا أضعف الإيمان.

فنحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف ومما استشهد به البابا - كذلك - قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨].

وليس فى هذه الآية حجة للبابا وشيعته، بل هى حجة عليهم إذ تفيد أنهم أخفوا التوراة والإنجيل المنزلين على رسوليهما موسى وعيسى عليهما السلام، واظهروا ما ارتضوه محرفا منهما، بعد أن عطلوا وحى الله الحق إليهم، ولهذا أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم : « لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » والإقامة لا تكون إلا للشىء المعوج، والاعوجاج الذى أصاب التوراة والإنجيل هو تحريفهم لهما وتعطيلهم لأحكامهما. فحثهم الله على لسان رسوله لإقامتهما، ولو أقاموهما - تماما - لما وسعهم إلا الإيمان به ﷺ.

ولكى يرى القارىء بنفسه شناعة التعدى على هذا النص أن البابا فى مقاله لم يذكر بقية الآية وهى :

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ولعلك تدرك من مجرد قراءتك لهذه البقية « التى لم يذكرها البابا » من الآية السبب الذى حمله على إهمالها. وهو سبب واضح جداً؟! وقبل أن نترك « معركة التحريف » نضع أمام البابا سؤالين اثنين وإذا صدقنا فى الإجابة. فسوف نسلم له بسلامة الكتاب المقدس من التحريف.

السؤال الأول: لقد أعلمنا القرآن الأمين أن لمحمد ﷺ وصحبه مثلين **أحدهما** فى التوراة وهو: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاررحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود».

وثانيهما: فى الإنجيل وهو «كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار».

وأنت ترى أن التوراة والإنجيل لم يصبهما تحريف. فأرنا – أذن – هذين المثلين؟ أين موضع الأول فى التوراة؟ وأين موضع الثانى فى الإنجيل؟!

السؤال الثانى: وأعلمنا القرآن أن عيسى عليه السلام قد بشر فى الإنجيل برسول يأتى من بعده اسمه أحمد. حيث حكى عنه القرآن الأمين: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف: ٦].

وأنت تقول أن الإنجيل لم يحرف، فهيا – إذن – أرنا موضع هذه البشارة فى **الإنجيل لكى نسلم لك أن الإنجيل لم يحرف؟ فهل أنت فاعل يا ترى؟!**

خطآن بارزان

فهيا حدد لنفسك موقفا: أرنا ما رجوناه أولا ترنا. فإذا أريتنا سلمنا لك – مبدئيا – بأن التوراة والإنجيل لم يحرفا، ولكن سيكون بيننا جولات من الحوار فى قضايا أخرى. وإن لم ترنا لعدم وجود «مطلبنا العزيز لديكم» فلا تنتظر من القرآن أن يشهد بسلامة مصادر هى نفسها تشهد – بغير حق – بعدم سلامته وإذا أصررت على أن القران ليس ملزما لك.

إذن فليس من حقك أن تستشهد به على صحة مدعاك. فاما أن تلتزم به كله، وأما أن تهمله كله. ونذكرك – فى حالة رفض الالتزام الكلى بأن مقالك اشتمل على خطأين كبيرين، أحدهما خطأ **عقدى** حيث استشهدت بنصوص لا تؤمن أنت بها، **وثانيهما** خطأ **منهجى**، وهو أنك فرقت بين نصوص يجمعها وصف واحد من القوة والتوثيق، فقبلت بعضها ورفضت بعضها، قبلت ما تصورت أنه يفيدك فى صدق مدعاك. ورفضت ما تأكدت أنه يبطل مدعاك؟!

مع أن قواعد مناهج البحث العلمى السليم نحترم كل الوثائق المتحدة الدرجة والتى تعالج ظاهرة واحدة. تبحثها جميعها وتنتهى من بحثها ودراستها والمقابلة بينها إلى الحقائق التى « تعطيها » لا التى يتصيدها الهوى...؟!

ولو كانت النصوص التى أهملتها من القرآن، وهى تتحدث عن نفس الظواهر التى قد أثرتها فى مقالك - تختلف عن طبيعة النصوص التى اعتمدتها، لعذرناك، ولما وجدنا كلمة نقد واحدة نقولها لك؟!

أما وإن النصوص التى أهملتها لا تختلف من حيث مصدرها، ودرجتها مثقال ذرة عن النصوص التى اعتمدتها، فإن المنصف، بل وغير المنصف سيردان عليك كل « نتائجك » التى انتهيت إليها، لبطلان المنهج الذى ارتضيته أنت بل أننا لنطمع فى موافقتك لنا أنت شخصيا فيما نقوله الآن؟ لأن عور ذلك النبح لا يخفى على كل ذى نظر.

القضية الثانية : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل..؟!

يقول البابا فى مقاله المذكور: « ولم يذكر فى القرآن إطلاقا إنه نسخ التوراة أو الإنجيل. بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والإنجيل. (وتعميم الحكم هنا يفيد أن البابا قد فحص القرآن كله طبعا).

ثم يذكر قوله تعالى :

﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ وإلى هنا يقف البابا ولم يذكر بقية الآية، وهى :

﴿ **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٣٦].

ثم يذكر بعدها قوله تعالى : ﴿ **... لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ .

ونلاحظ أنه حذف صدر الآية وهو ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ ...** ﴾ كما حذف عجزها وهو ﴿ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة : ٦٨].

ولن نقف طويلا وراء هذا الحذف المتعمد، فسببه معروف. ففى حذف عجز آية البقرة ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ لم يجد البابا فيه ما يفيده، بل هو حجة عليه فعدم التفرقة بين الرسل أمر لم تسلم منه يهودية ولا نصرانية ، بله الإسلام لله.

أما حذف صدر آية المائدة ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ ... ﴾ فسبب حذفه عند البابا الايهام بأن الخطاب للجميع يهودا ونصارى ومسلمين، مع أن الآية خطاب موجه إلى أهل الكتاب وحدهم.

أما حذف عجز آية المائدة ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

فسبب حذفها واضح. ولو ذكرها البابا لهدمت عليه كل ما بناه فى مقاله. فهى كلمة حق، والحق له مرارة لاذعة فى بعض الأحيان؟!(١)

المهم فإن البابا بعد ذكره تلك النصوص، بعد بتر ما يجب ذكره منها – قال بالحرف الواحد :

« إن كل ما سبق ينفى بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل (!) من المحال أن يكون ناسخا لهما وفى نفس الوقت يدعو إلى الإيمان بهما، ويحذر من إهمال ذلك ».

أقوال العلماء فى آية البقرة :

يتحدث العلماء المسلمون عن آية البقرة التى استشهد بها البابا آنفا بما يزيل عنها كل لبس – فالإمام القرطبى يذكر قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ ثم يردف فيقول : « خرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه » قال : « كان أهل الكتاب – يعنى اليهود – يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ .. لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ إلى آخر الآية.

ثم يقول : وروى ابن عباس: جاء نفر من اليهود إلى النبى ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الأنبياء . فنزت الآية. فلما جاء ذكر عيسى قالوا لا نؤمن به ولا بمن آمن به »؟!

---

(١) قد سبق الحديث عن هذه الآية آنفا .

ونقل عن الفراء قوله فى شرح قوله تعالى : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ أى لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى »[1].

وقد أورد الفخر الرازى سؤالا مهمًّا قال فيه : فإن قيل : كيف يجوز الإيمان بإبراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة »؟! وهذا السؤال قد أومأ إليه البابا فيما نقلناه عنه آنفا، واتخذ منه حجة على عدم النسخ.

أما إجابة الرازى، وهو ممن استشهد بآرائهم البابا فى مقاله، وشيعته فى كتاب الاستحالة ، فقد قال رضى الله عنه :

« نحن نؤمن بأن كل واحدة من تلك الشرائع كان حقا فى زمانه فلا يلزم منا المناقضة »[2].

ونحن نضيف إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام ما نراه جديدا فى المسألة لم يذكره أحد فيما قرأت فنقول وبالله التوفيق:

أن هذه الآية : ﴿ قُولُوا آمَنَّا ﴾ لها ارتباط وثيق بالآية التى تقدمتها وهى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥].

وهذه الآية بينت إلى أى مدى كان الاختلاف بين اليهود والنصارى وتعصب كل فريق منهم لدينه. فاليهود قالوا: كونوا هودا تهتدوا. أى حصروا الهداية فى ملتهم ورموا النصارى بالكفر والضلال.

والنصارى قالوا: بل كونوا نصارى تهتدوا. فحصروا الهداية فى ملتهم ورموا اليهود بالكفر والضلال.

ومصداق هذا قوله تعالى حاكيا عنهما : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١].

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣].

---

(١) تفسير القرطبى (جـ ٢ ص ١٤٠) وما بعدها، وراجع معه روح المعانى للألوسى (جـ١ ص ٣٩٥) والكشاف للزمخشرى (جـ ١ ص ٣١٥) .

(٢) التفسير الكبير للرازى (جـ ٤ ص ٨٢) .

كل فريق منهم يتعصب لدينه ويكفر بما عداه. وقد حمل القرآن الحكيم حملة قوية على هذا التعصب الممقوت، وحذر المسلمين أن يكونوا مثلهم. ووجههم الوجه الحق قائلا لهم: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ...** ﴾ والمتأمل فى هذه الآية يجد أن الإيمان الحق المقبول عند الله، إنما هو الإيمان التفصيلى بما فصله الله فى كتابه، وعدد منه فى آية البقرة هذه إبراهيم، وإسماعيل، واسحق، ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام. ثم الإيمان الإجمالى بما أخبر الله عنه وقد أشار إليه سبحانه فى آية البقرة بقوله تعالى: ﴿ **وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ سواء فى ذلك من قص علينا قصصهم واسماءهم كادريس، ويحيى واليسع، وما طوى ذكرهم فى علمه. ثم كانت فاصلة الآية ﴿ **لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ وهذه هى عقيدة المسلم التى يلقى الله عليها، ولن يكون إيمان إلا بهذا الإيمان الشامل الذى لا تفرقة فيه، بين رسول ورسول، وكتاب وكتاب؟

وقد تلا هذه الآية مباشرة قوله تعالى:

﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ** – أى اليهود والنصارى – **فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٣٧] فلماذا ترك البابا هذه الآية ..؟ لسنا فى حاجة إلى إجابة أبدا . فإنها معروفة ؟!

دليلان قاطعان :

وبقى لنا دليلان قاطعان على أن القرآن الحكيم قد نسخ كلا من التوراة والإنجيل، ودعا جميع الناس إلى الدخول فى الإسلام مع إيمانهم التاريخى بما سبق عليه من شرائع وديانات مهدت له وأسلمت القياد إليه.

أما أحد الدليلين فقوله تعالى:

﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وأما ثانى الدليلين فقوله تعالى:

﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فهل يروق لمنصف بعد هذا أن يدعى أن القرآن لم ينسخ ما قبله من شرائع وأديان ما عدا العقائد والأخلاق الفطرية كالصدق الوفاء.

وإذا ادعى البابا هذا، فهل يليق بمنصف مجاراته فى هذا الادعاء. إلا عناداً ومكابرة..؟! وليس معنى النسخ أن تلك الشرائع كانت باطلة فى زمانها .. استغفر الله .. فهذا لم يقل به القرآن، ولا اعتقده مسلم، بل أن النسخ - يعنى - وقف العمل بها فيما عدا «العقائد» أو كل «كليات الشرائع» التى قررتها جميعا. وفيما عدا ما أقره الإسلام من «الفضائل الخلقية» كالصدق والعفة، والانفاق فى سبيل الله. أما المعاملات والعقود، وضروب العبادات. فإن هذه كلها قد جاء الإسلام بما يصلح حياة البشرية كلها فى كل زمان ومكان. فليس الإسلام دعوة إلى «ملكوت الدنيا» فحسب كما هو فى التوراة، وليس الإسلام دعوة إلى «ملكوت الآخرة» فقط، كما هو فى الإنجيل وإنما الإسلام «دنيا ودين» معا. تراتيل محراب، ونظام اجتماعى، ودستور حرب وسلم، ومنهج إنتاج، وقواعد عقود ومبادلات. وتربية وازع وأخلاق .. إلخ. ولو أن البابا وقف عند هذه الآيات.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٣ - ١٥] .

أقول - لو أن البابا وقف عند هذه الآيات، وتأملها تأملاً مجرداً من كل هوى، وسأل نفسه لماذا كان التعبير بجانب القرآن هو «أوحينا إليك» وبجانب ما أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو «وصينا» واستفتى اللغة عن الفرق بين الفعلين «أوحى ووصى» ثم عاش مع بقية الآيات وما تقرره من حقائق. ثم تأمل هذه العبارة ﴿آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ واستفتى اللغة مرة أخرى ما الذى تفيده «من» الجارة إذا دخلت على نكرة هى فى الأصل ليست مجرورة (مرفوعة الموضع أو منصوبته) كما فى هذه «العبارة ... ولو ... ولو .. ولو ...

لو فعل هذا لعلم، بل لأقر بأن الإسلام لا يعادى دينا ولا يجافى حقا. وإنما يسمو بالحق، ويحترم كل رسالات السماء، ولكن فى حدود ما أقره خالق الكون وباعث الرسل، ومنزل الوحى. وهو فى ذلك كله «متبع» لا مبتدع، ولا أسير هوى؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] وقد بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه، ولقى ما لقى من جراء ذلك التبليغ ثم كانت الخاتمة التى تشهد له بأنه بلغ الرسالة الخاتمة، وأدى الأمانة الخالدة :

﴿ .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

اللهم قد بلغ .. اللهم فاشهد .. !

القضية الرابعة : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة فى القرآن غير بشرية؟! وبادئ ذى بدأ أشهد أن البابا قد أومأ إلى مقصوده «الدفين» ولم يفصح علانية. وإنما جعل عباراته «الذكية» تؤدى إلى المقصود لدى القارىء حتى لا يصدمه «طفرة» بغير ما يعتقد. لأن المجلة الناشرة «الهلال» يقرأها كل الناس مسلمون وغير مسلمين.

وقد قسم البابا حديثه عن عيسى عليه السلام «عبد الله ورسوله» خمسة أقسام:

(أ) أنه دعى كلمة الله وروح منه .

(ب) ولادته المعجزية (!) .

(جـ) معجزاته العجيبة .

(د) موته ورفعه إلى السماء .

(هـ) صفاته الأخرى.

ونحن لا نختلف معه رأيا أو عقيدة – فى هذه الأمور التى عددها وإنما الاختلاف يبلغ بيننا أقصى مداه حول ما استهدفه هو منها، وما أشعرت به «تعبيراته الذكية» والذى أفصح عنه كتاب «الاستحالة» كما سنرى فيما بعد أن شاء الله.

أما الآن فسوف نقتحم «مخابئه الكلامية» التى بثها فى مقاله مغلفا لها بآيات من القرآن الحكيم، وهى مما أراده منها براء ؟!

● **أولاً : كون عيسى عليه السلام كلمة من الله وروح منه :**

أورد البابا قول الله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

وقوله تعالى :

﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ [النساء : ١٧١] واتبع هاتين الآيتين تعليقا نجتزىء منه قوله :

« وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين (يعنى : كلمة الله – روح منه) يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره » ونحن نتحفظ على هذه العبارة الآن وسوف نعود إليها بعد قليل.

● **ثانيا : ولادته المعجزية :**

يقول البابا : لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته (!) من حيث هو كلمة الله وروح منه القاها إلى مريم (وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر)[١] وإنما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادها غرابة أنه يكلم الناس فى المهد [آل عمران : ٤٦] الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد (!) .

أترك هذا التأمل للقارئ لتسبح فيه روحه [٢] ؟!

● **ثالثًا : معجزات المسيح العجيبة :**

قال البابا : « وأخص منها ما ورد فى القرآن – غير ابراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى – معجزتين (فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء)[٣] وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب. وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح ﴿ **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

---

(١) ارجو من القارىء أن يتحفظ على هذه العبارة المحصورة بين علامتين (...) حتى نعود إليها.

(٢) ... رجاء التحفظ على هذه العبارة المخطوطة أيضًا.

(٣) وتحفظ – كذلك على هذه العبارة المحصورة !

ثم يقول: هنا يقف العقل لكي تتأمل الروح (لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته[1]؟!

● **رابعا: موته ورفعه إلى السماء:**

يقول البابا شنودة: وقد أورد فى ذلك:

﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** .. ﴾ [آل عمران : ٥٥] ثم يقول: «والمسيحية تؤمن بموت عيسى وصعوده إلى السماء ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقى الأمر عجيبا».

خامسا: صفات المسيح الأخرى:

يقول البابا: «من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه «وجيها فى الدنيا والآخرة» وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علواً عجيباً».

وإلى هنا ينتهى حديث البابا عن عيسى عليه السلام (عبدالله ورسوله) وقبل أن نرد اعتبار النصوص القرآنية التى اقحمها لتكون دليلا على صدق مدعاه «الدفين» نسأل القارىء ما الذى استهدفه البابا شنودة من تعبيراته تلك «المخبأة» والتى رجونا أن يتحفظ عليها القارئ وهى:

«مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره».

«وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر».

«أترك هذا لتأمل القارىء لتسبح فيه روحه» ...؟!

«فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بها أحد من الأنبياء» ...؟!

«لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد والتى هى من عمل الله ذاته» ...؟! نحن بدورنا ندعو القارىء أن يتأمل هذه «العبارات المخبأة» ليصل إلى كشف ما تخبئه وتخفيه ...؟!

أن ما استهدفه البابا من كل هذا واضح وان لم يفصح هو عنه. أنه يريد أن يقول أن عيسى عليه السلام «عبدالله ورسوله» آله – رب – خالق.

هذا هو المعنى الذى سيطر على شعور الرجل وهو يكتب ما يكتب لمجلة يقرأها كل الناس!

---

(١) وتحفظ أيضاً على هذه العبارة المحصورة؟

واستند فى هذا إلى أن القرآن اطلق على عيسى « كلمة الله – روح منه – وأن معجزاته هى « عمل آله » وكونه مولودا لغير أب ! كما ادعى أن عيسى عليه السلام له فى القرآن مركز رفيع لم يتمتع به غيره من البشر سواء كانوا أنبياء أم من عامة الناس.

ونحن لا نحجر على أحد فى عقيدته فالديان موجود وكل نفس لديه بما كسبت رهينة، ولكن الذى نرفضه كل الرفض أن يستخرج ذلك « الأحد » الباطل من الحق. فالحق دائما يؤدى إلى الحق، ولا يؤدى إلى باطل. ولو أنه جرد دعاواه تلك من الاستشهاد بآيات القرآن الحكيم لما حرك لنا ساكنا ولما سكن لنا متحركا، ولعزفنا عن كتابة سطر واحد نرد به عليه فيما يدعيه. نكرر هذا عشرات المرات. فتعال معى الآن إلى مفسّرى القرآن الكريم نستفتهم.

● **معنى « كلمته » :**

يقول الإمام الألوسى فى تفسيره : ومعنى كونه « كلمة » أنه حصل بكلمة « كن » من غير مادة معتادة . وإلى هذا ذهب الحسن وقتادة. وقال الغزالى قدس الله سره: لكل مولود سبب قريب وبعيد. فالأول المنىّ (ماء الرجل) والثانى قول « كن » ولما دل الدليل على عدم القريب (يعنى المنى) فى حق عيسى عليه السلام إضافة إلى البعيد، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب، وأوضحه بقوله : « ألقاها إلى مريم ».

وقيل معناه : بشارة الله تعالى التى بشر بها مريم على لسان الملائكة كما قال سبحانه :﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ (١).

وذهب الإمام الرازى مذهب الألوسى فى تفسيره (٢).

● **ومعنى كلمة « وروح منه »:**

يقول الألوسى « وروح منه » . . سمى عليه السلام روحا. لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى درع مريم بأمر منه سبحانه، وجاء تسمية النفخ فى كلامهم – أى العرب – روحا، ومنه قول ذى الرمة فى نار « وأحيها بروحك » (أى اشعل النار بنفخك).

أما الجار والمجرور « منه » فيقول فى توجيهه : « ومن متعلقه بمحذوف وقع صفة لروح، وهى لابتداء الغاية – مجازا – لا تبعيضية كما زعمت النصارى »(٣).

---

(١) روح المعانى (جـ ٦ ص ٣٤).

(٢) التفسير الكبير (جـ ٨ ص ٤٧) .

(٣) روح المعانى نفس الموضع السابق .

وزعم النصارى الذى أشار إليه الألوسى هنا : هو أن الروح – عيسى – جزء من الله، بدليل قوله « منه » كما تقول: هذا الماء شربت منه. أى شربت بعضه.

ولدفع هذا الوهم قال صاحب روح المعانى: أن « من » هنا لابتداء الغاية مجازا، لأن الله منزه عن المكان والزمان، والمعنى على ما ذهب إليه الألوسى : روح ابتداؤه من عند الله.

والذى يظهر لى أن « من » ليست لابتداء الغاية – كما ذهب الألوسى – حتى نضطر للقول بمجازيتها. بل من الممكن جعلها بيانية، وهى على هذا لا تحتاج إلى تقدير المجاز فيها.

ومعنى كونها بيانية أنها روح من الله لا من غيره. وهذا التقدير يسد أبوابا واسعة من ظنون السوء بمريم حيث جاءت به من غير أب، وللشيطان فى مثل هذه « الوقائع » صولات وجولات.

ويقوى كون « من » بيانية قول أم مريم حين وضعتها كما حكى عنها القرآن الأمين: ﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران: ٣٦] فحفظ الله مريم من الشيطان، وحفظ ذريتها منه. فكان عيسى عليه السلام كلمة من الله لا من غيره، وروحا من الله لا من غيره، وبهذا تنقشع عن مريم وابنها كل سحب الشك التى أثارها اليهود.

وينقل الألوسى – هنا – قصة طريفة فيقول: أن طبيبا نصرانيا فى عهد الرشيد جادل على بن الحسين الواقدى، فقال: أن فى كتابكم – يعنى القرآن – ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله ! ثم تلا هذه الآية « وروح منه » ؟!

فقرأ الواقدى قوله تعالى : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ ثم قال للطبيب النصرانى: لو سلمنا لكم بهذا القول لكانت كل هذه الأشياء التى سخرها الله لنا فى السموات والأرض أجزاء منه؟! (أى لأنه قال: « جميعا منه ») فأفحم الطبيب ولم يسعه إلا الدخول فى الإسلام لقوة احتجاج الواقدى عليه.

وقد فرح الرشيد من ذكاء الواقدى ومنحه جائزة فاخرة.

ومما قاله المفسرون فى بيان معنى الروح فى الآية: أنها جبريل عليه السلام وبعضهم يقول: أنها الرحمة . وبعضهم يفسرها بالهداية . وأيا كانت هذه الأقوال مختلفة فإنها جميعًا بعيدة كل البعد عن المعنى الذى يريده منها البابا وأضرابه.

إذن فليس فى هذين اللقبين « كلمة من الله – روح منه » دليل أو حتى شبه دليل على « تاليه » عيسى – عبدالله ورسوله – عليه السلام.

ولو كان كل من ذكر الله فى سياق الحديث عنه هذه اللفظة « كلمة » لكان يحيى عليه السلام الاها – كذلك – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فقد قال الله فى شانه وبشارة أبيه زكريا به :

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وإذا قالوا أن وضع « كلمة » بجانب يحيى عليه السلام مختلف فى التركيب عن وضعها فى جانب عيسى عليه السلام حيث جاءت مع يحيى متعلقة بالحال، وهى مع عيسى « خبر » والخبر آصل من الحال. إن قالوا ذلك قلنا لهم: هو لكم أذن فاعتبروا يحيى « نصف اله » ؟! ولا تهدروا قيمة الكلمة معه وهما ابنا خالة كما تعلمون. أتستكثرون على ابن خالة الاله أن يكون نصف اله؟!

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فيا من غفرت لآدم وحواء اللذين دعواك بهذا الدعاء أغفر لنا وتب علينا فنحن أحوج إلى عفوك منهما يا رب العالمين.

ولو كان كل من ذكر الله فى شانه كلمة « الروح » لكان جبريل الاها، إذ كثيراً ما صرح فى جانبه بهذه الكلمة ومن ذلك: « نزل به الروح الأمين » وقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ ولا خلاف بين المفسرين فى أن المراد بالروح هنا هو جبريل عليه السلام سفير السماء.

بل ولكان القرآن – كذلك – الاها ، لأن الله قال فى شانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢].

بل وأعجب من ذلك لكان آدم الاها، لأن الله قال فى شانه يخاطب الملائكة :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.

بل ولكان كل أبناء آدم الهة . . وكيف لا؟ إذا كان أبوهم كذلك؟! قولوا ما شئتم، ودعوا القرآن جانبا، ولا تذكروا منه شيئًا دليلاً على الباطل. وها أنتم قد فتحتم الباب

مستشهدين به. فافسحوا صدوركم لتسمعوا – بيانه الحق – حول ما أثرتم من قضايا ما كان أغنانا عن هذا لو أمسكتم عن الخوض فيها.

● **ثانيًا – ولادته المعجزية :**

أما ولادته المعجزية – على حد تعبير البابا – فإن هناك ما هو أدخل منها فى باب الإعجاز. ذلك أن الله – جلت حكمته – قد ربط ولادة أى مولود باجتماع سببين ماديين، وهما عنصر الذكورة وعنصر الأنوثة حتى تتم عملية اللقاح إذا قدر الله معها انجابا .. وولادة عيسى عليه السلام وجد فيها أحد العنصرين «الأنوثة» وتخلف العنصر الثانى «الذكورة» فولد من أم بدون أب فكانت ولادته لهذا غريبة لم تجر بها العادة فى مألوف الناس بيد أن هناك ايجادين كانا على خلاف العادة. **أحدهما** أغرب من ولادة عيسى عليه السلام، **وثانيهما** أشد غرابة من الاثنين معا.

أما الأول: فهو ايجاد الله حواء من آدم عليهما السلام. فحواء أوجدها الله من ذكر «آدم» ولم يجعل لها أما. فقد وجد أحد العنصرين، وهو الذكورة، وتخلف العنصر الثانى وهو الأنوثة، وإنما كانت واقعة إيجاد حواء أغرب من واقعة ايجاد عيسى مع أنهما تبدوان متساويتين فى الظاهر القريب إلى الذهن، لتخلف أحد العنصرين فيهما.

لأن عنصر الذكورة فى حالة إيجاد حواء غير مألوف. لأن حواء وجدت من ذكر، وهو لا يلد، وإنما يولد له إذا قام هو باللقاح .. ولهذا كان خلق حواء من آدم ادخل فى باب الاعجاز – عند العقل – من خلق عيسى عليه السلام، واقرأ معى قوله تعالى فى مطلع سورة النساء :

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ .

وأما الثانى : فهو خلق آدم أبى البشر عليه السلام. إذ هو مخلوق لله من غير أب يقوم باللقاح، ومن غير أم تحمل وتلد.

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ وهذان الايجادان يؤمن بهما أبناء كل ملة.

أفليست المعجزة فى خلق آدم عليه السلام أدخل فى باب الإعجاز – عند العقل – من إيجاد حواء، ومن بعدها عيسى عليه السلام ..

فلو كانت الولادة من غير أب مدعاة لوصف المولود بالألوهية لكانت حواء أولى بذلك الوصف من عيسى عليه السلام، ولكان آدم عليه السلام أولى من حواء ومن عيسى بتلك الصفة ؟!

« أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون »[1] صحيح أن خلق عيسى « غريب » وأصح أن خلق آدم « أغرب » ومثل عيسى عند الله هو مثل آدم كلاهما خارق « فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه ».

فاللهم أرنا الحق حقا وأرزقنا اتباعه. وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه.

● **ثالثا - معجزاته العجيبة :**

ينظر البابا إلى المعجزات التى أيد الله بها عيسى عليه السلام، على أنها خوارق صادرة عن عيسى نفسه، وليس له مصادر سواه. وكلماته فى هذا المجال أقرب ما تكون إلى الإفصاح عن المعنى الدفين، وأن حاول هو « تغليفها » بغشاء رقيق . . ؟! ويبرز البابا مسألة إحياء الموتى والتنبؤ بالغيب، وخلق الطير بإذن الله ويذكر نصا قرآنيا كدليل على صدق مدعاه، وما هو بدليل له على ذلك الصدق وإنما هو دليل على تكذيب ذلك المدعى.

● **والنص القرآنى هو :**

﴿ . . . أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

وعلى طريقة البابا فى بتر النصوص، فقد أهمل صدر الآية الذى جاء فيه : **﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . . ﴾** .

ولا اخالك فى حاجة إلى معرفة سبب الإهمال - هنا - وإنما للتذكير أقول أن ذلك الصدر « المهمل » فيه نص صريح على أن عيسى عليه السلام « رسول » وأن الآية التى جاء بها ليست من صنعه هو، بل « من ربكم » وليست من « عندياته هو » وإنما هو مجرد وسيط وبعد أن ساق البابا ما ارتضاه من نص الآية علق عليها قائلاً :

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٤٣٣) .

« هنا يقف العقل لتتامل الروح ..؟ لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته؟ الخلق ومعرفة الغيب » انتهى كلامه.

ونحن لا نريد أن نطيل فى الرد. فإن الآية نفسها ترد كل زعم أو مغالاة حول معجزات عيسى عليه السلام. فعيسى نفسه يصرح - كما جاء فى الآية - أنه فعل ما فعل بإذن الله. وأن الآية التى جاء بها هى من « ربكم » فلم يغال عيسى عليه السلام فى تزييف الوقائع، بل أدى الأمانة مثلما بعث بها لم يزد ولم ينقص. وكيف يغالى وهو رسول أمين ؟!

والذى يجب أن يكون عقيدة المؤمن، إن المعجزات جميعها - خوارق تسمو فوق كل اعتبار عقليا كان أو طبيعيا، أو عاديا. يجريها الله على أيدى أنبيائه ورسله، متحديا بها الخصوم. ودلالة المعجزة هو صوت خفى ينشأ فى شعور المشاهد لوقوع المعجزة « صدقوا عبدى فى ما يبلغ عنى ».

لأن جريان المعجزة على يد بشر يقول: أنا رسول من عند الله. والمشاهد للمعجزة بشر مثله. وهذا المشاهد يحس بالنقص أمام من جرت المعجزة على يديه.

فكلاهما بشر. ولكن لماذا فعل هذا؟ وعجز هذا عن أن يفعل مثله؟! وما داما هما: من جرت على يديه المعجزة، ومن شاهدها. مستويين فى الصفات البشرية، فلابد أن تكون هناك ميزة فى جانب الذى جرت على يديه الخارقة، ليست هى فى قدرة يشاهدها. وهنا لا تجد النفس المشاهدة للخارقة مرجعا إلى تلك الميزة إلا أن يكون الذى جرت على يديه الخارقة رسولا كما يدعى هو؟ وهذا هو المطلوب من كل معجزة أجراها الله على يد رسول.

أن فاعل المعجزات هو الله يؤيد بها صدق رسله فيما يدعون حتى تصبح الدعوى دعوة، والتبليغ عقيدة راسخة فى النفوس.

وما دام الله هو فاعل المعجزة، وليس الرسول ، أى رسول، فلا تفاضل بين معجزة ومعجزة، لأنهن جميعاً من خوارق العادات ومدارك العقول.. وإنما تتفاضل المعجزات من حيث بقاؤها لكل جيل، ومن حيث ظهورها وخفاؤها حتى تصبح خبرا من الأخبار.

وبناء على هذا فإن المعجزات التى يجريها الله على أيدى رسله تتنوع بحسب الأوضاع البارزة فى حياة الأمم والشعوب الذين أرسل الله لهم رسله فمعجزة خاتم الرسل ﷺ كانت هى « البيان » لأن الأمة التى بعث إليها كانت تملك من البيان الرفيع أعلى

نواصيه. للبيان فى حياتهم حياة، وللشعر فى دولتهم دولة. فجاء محمد عليه السلام بما بذهم به من البيان المعجز «القرآن العظيم» فسقطوا فى أيديهم.

ولما كان السحر متفشيا فى عصر فرعون موسي عليه السلام، حتى اتخذ فرعونه منهم صفوة ممتازة آتي الله موسى ما هو فوق السحر اعجابا واعجازا أنها «عصاه» التى صنع الله بها على يديه الأعاجيب التى لم يروها ولم يسمعوا بها من قبل.

ولندع الآن معجزات خاتم النبيين ونعود إليها عند حلول مناسبتها من هذه المواجهة. ولننظر فى معجزات الرسل: إبراهيم، وموسى، وداود وسليمان - كما حكاها القرآن الأمين - ونقارنها بمعجزات عيسى عليهم جميعا السلام، لنرى هل معجزاته أعجب أو أبقى أثرا من معجزاتهم فنسلم للبابا فى ما يدعيه، أم أنها كلها سواء فلا تكون لعيسى عليه السلام ميزة ترفعه فوق «مقامات البشر» فضلا عن اخوانه الرسل الأخيار فيندفع ما يدعيه البابا من نتائج لم تسلم مقدماتها.

ونحن فى هذا وذاك لا نريد إلا الحق، والحق وحده، والله على ما نقول شهيد.

● **معجزات إبراهيم عليه السلام :**

حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه قائلا لهم:

﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٦٧].

وكان قوله نهاية لحوار أداروه معه وكان حزنهم على آلهتهم عظيما، فسخر منهم ومن أصنامهم فاجمعوا على أمر يشفى غيظهم : ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٦٨].

فاضرموا النار وأججوها وانتشرت حرارتها حولها لدرجة أن من يقترب منها يحترق قبل أن تمسه النار، وألقوا فيها إبراهيم عليه السلام من بعيد وغاص إبراهيم فى قرار جحيمهم، واشتعلت النيران عليه ما شاء الله لها أن تشتعل، والقوم فرحون ظانين أنهم قد اقتصوا لآلهتهم ولم يشك أحد منهم فى هلاكه وأنه صار فحما ورمادا. وما أن خمدت النيران حتى بإبراهيم عليه السلام هو هو لم تمسه النار بسوء ..؟! وكيف ذلك والنار محرقة ؟! أكان مع إبراهيم جهاز أطفاء ؟ كلا. إن النار لم تتوقف حتى التهمت كل ما قدموه لها من وقود.

ولكن لأن الله أصدر أمره للنار ساعة قذفوا فيها صفيه وخليله ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠]

هذا ما يقوله القرآن عن إحدى معجزات إبراهيم عليه السلام. معجزة خارقة لكل مألوف، وهى لم تجر لنبى أو رسول غيره. بل خصه الله بها، لأن ليس كل رسول هم قومه باحراقه حتى تكون معجزة إبطال مفعول النار واقعة مسجلة فى سجل كل رسول.

وهذا هو إبراهيم عليه السلام الذى نجا من النار يتوجه إلى ربه بسؤال عزيز لديه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

فاستجاب له ربه، ثم بين له طريقة يرى بها كيف يحيى الله الموتى فقال:

« .. فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً. ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم أن الله عزيز حكيم».

أربعة من الطير : طاووس ، وديك ، وغراب، وحمامة[1] .

يأخذ إبراهيم هذه الجماعة من الطير تمثل أربعة أنواع من الطيور، ثم يذبحهن ويقطعهن أجزاء، ثم يضع من كل واحد منها جزءاً على جبل هكذا متفرقات غير متجمعات، لم يضع جزءين لطائر واحد فى مكان واحد، وقد حفظ إبراهيم صورها وأشكالها فى مخيلته قبل أن يذبحها وها هى ذى الآن أشلاء منثورة على قمم الجبال، ويقف إبراهيم عليه السلام ينادى الطيور التى ماتت وكأنه اسرافيل ينفخ فى الصور النفخة الثانية، فإذا بالطيور الأربعة تسرع إليه طيرانا وسعيا على الأقدام تماما كما كن قبل أن يذبحن بأشكالها وصورها، وهيئاتها وأحجامها ودقائق صفاتها فيطمئن قلب إبراهيم ويرى عيانا ما أدركه استدلالا ونظراً هاتان معجزتان مما اجراه الله على يد خليله إبراهيم عليه السلام ونقف الآن فنسأل :

أليس فى مسألة ابطال مفعول النار خارقة عظيمة منَّ الله بها على إبراهيم وأقام الحجة على صدقه؟!

ثم أليس فى مسألة إحياء الطيور خارقة تماثل خارقة إحياء الموتى الذى أجراه الله على يد رسوله عيسى عليه السلام.

فهل معجزات عيسى أبقى أثرا وأدخل فى باب الإعجاز – عند العقل – من معجزتى إبراهيم عليهما السلام؟ أم كلها خوارق عظيمة متحدة الدرجة أجرى الله كلا

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٣٩١) .

منها حسب مقتضيات المقام؟ هذه عقيدة المؤمنين الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله وهم له مسلمون.

● **موسى وعصاه :**

وما منَّ الله به على إبراهيم وعيسى عليهما السلام منَّ بمثله على موسى عليه السلام فقد كانت عصى موسى مصدرا للأعاجيب :

مرة يلقيها فإذا هى حية تسعى، وتهتز كأنها جان حتى يولى موسى مدبرا ولم يعقب حتى يسمع صوت الأمان يناديه من عل.

ومرة يلقيها فتبتلع الاعيب سحرة فرعون بعد أن ماجت الساحة بحبالهم وعصيهم كأنها حيات وثعابين تسعى وتتحرك. وينتصر موسى بعصاه علي مهرة السحرة الذين اصطفاهم فرعون موسى فى أكبر مباراة بين ظلام الباطل ونور الحق.

ومرة يضرب بها البحر فينفلق صانعا اثنى عشر طريقا كل طريق منها كالطود العظيم، ويسير فيها مؤمنو بنى إسرائيل فيتبعهم فرعون وجنوده، وبينما ينجو آخر مؤمن، ويتوسط فرعون وجنوده البحر إذا هو ينطبق عليهم فيغرقون ولا يبقى منهم أحد..

ومرة يضرب بها الحجر فتتدفق منه المياه فى اثنتى عشرة عينا، ليشرب كل أناس من مشربهم، لا يزاحمهم فيه أحد.

هذا بعض ما من الله به على موسى. وهذا هو القرآن يقص علينا فى صدق أحسن القصص:

﴿ .. أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣٠ – ٣١].

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه : ٦٤ – ٧٠].

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٦١ – ٦٧] .

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : ٦٠] .

وهذا بعض ما من الله به على رسوله موسى عليه السلام . أفما ترى فى ذلك عجبا وأى عجب .

أليس فى مسألة انقلاب العصى حية تسعى خارقة مماثلة تماما لما كان يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من النفخ فى الطين فيكون طيرا بإذن الله ..؟! فالعصى جماد، والطين جماد، وكلاهما تحولا بقدرة الله إلى « كائن حى له روح » ففى أى الخصائص تمتاز المعجزة « العيسوية » على المعجزة « الموسوية » وكلتاهما الله فاعلهما .

حتى معجزة أحياء الموتى التى كرم الله بها إبراهيم عليه السلام، ثم أيد بها عيسى عليه السلام ، حتى هذه المعجزة لم يحرم الله نبيه موسى عليه السلام منها . وقد تضمن الإشارة إلى تأييد موسى بها فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢ – ٧٣] .

وأيده الله بها حين قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ .. لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ – ٥٦].

أيقال بعد هذا كله أن معجزات عيسى عليه السلام « لم يعملها أحد مثله » وكأنه هو الذى صنعها ولم يصنعها الله ؟!

● **داود والجبال ؟!**

ومن الله على عبده داود بمنن عظيمة، فسخر له الجبال تؤوب معه، وسخر له الطير كما سخر الجبال، وألان له الحديد يتصرف فيه كيف يشاء، بلا نار تذيب، ولا مطرقة ولا سندان.

وفى ذلك يقول القرآن الأمين : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سبأ : ١٠ - ١١].

ومهما اختلف العلماء فى معنى تأويب الجبال بين أن تردد معه التسبيح إذا سبح حتى يسمع لها صوت أو تسير معه إذا سار، أو تجود له بما أودعه الله فيها من كنوز فإن هذه الآيات الثلاث :

تأويب الجبال، وتأويب الطير، وإلانة الحديد خوارق لم يمن الله بها إلا على من اصطفاه من عباده واستقام على نهجه وهداه. وكلها أمام العقل مدعاة للإعجاب والتأمل.

● **سليمان وإسالة عين القطر وعالم الفضاء :**

وورث سليمان داود، ورثه فى النبوة والملك والتقوى والاستقامة وورثه فى مجال « الصناعة » وورثه فى خصائص المعجزات، فقد أجرى الله لهما معجزات وخوارق متحدة النوع. وأن تفاوتت فيما بينها.

ففى مجال الصناعة فقد هيأ الله له أسباب قيامها « خفيفة وثقيلة » أمده بالمواد الخام، ووفر له الطاقة الحرارية اللازمة لها. وسخر له مهرة العمال الذين يعملون له ما يشاء.

فقد أسال له عين القطر، وهو النحاس المذاب. أسالها وأقرها بين يديه مادة طيعة قد عملت فيها الطاقة عملها. وسخر له حشدا هائلاً من الجن يعملون فى « مصانعه » كل ما كانت تحتاج إليه البيئة من صناعات ثقيلة أو خفيفة.

وأعجب من هذا فقد سخر له « الفضاء » قبل أن يعرفه العالم المعاصر بمئات القرون، فهذه هى الريح تجوب له وبه الآفاق تقطع فى نصف النهار الأول ما يقطعه المسافرون فى شهر، وتقطع فى نصفه الثانى مثل ما قطعته فى النصف الأول. حدث هذا فى عهد سليمان قبل عصور النهضة بقرون طوال. وفى ذلك يقول القرآن الأمين :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ – ١٣] .

● **سليمان ومنطق الطير :**

ومن مظاهر ما من الله به على عبده سليمان عليه السلام أن علمه منطق الطير يسمع لغاتها ويحذق معانيها، ففتح له كل مغلق، وأدنى كل بعيد والى هذا يشير القرآن الحكيم :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] .

وبهذا فقه سليمان قول النملة لبنى جنسها : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ – ١٩].

● **سليمان وعرش بلقيس :**

ومن المعجزات الفريدة فى سجل نبى الله سليمان واقعة نقل عرش بلقيس. أنها واقعة تحتاج – الآن – إلى أبحاث علمية متخصصة وعميقة. يقوم بها حشد هائل من خبراء هندسة المعمار. وحشد هائل من خبراء الجيولوچيا، وحشد هائل من خبراء علوم الفضاء وخبراء الديكور ..؟!

فها هى ذى بلقيس تجمع – بعد الدراسة – على أن تلقى سليمان عليه السلام، ويعلم سليمان بهذا فيفكر فى إجراء خارقة تشاهدها عابدة الشمس من دون الله؟

واستقر الرأى على نقل عرشها، فجاء به أسرعهم الذى قال : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾.

وقبل أن تصل بلقيس وقومها إلى مقر سليمان كان عرشها العظيم قد استقر بين يديه فلما أبصرته وسئلت أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو ولم تقطع. ولم تجد عابدة

الشمس أمام هذه الآيات إلا أن تقول : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

فلنعد صياغة السؤال الآن ونتوجه به إلى أهل الذكر من الخبراء المعاصرين ليفتونا فى أمرنا إن كانوا فاعلين.

افتونا يفتكم الله، عرش هذا وصفه «عظيم» كيف اقتلع من الأرض هكذا قبل أن يرتد إلى الناظر طرفه، وكيف حمل فى الفضاء ولم يحدث فيه شرخ ولا تغير شيء من نظامه، ولا تبعثرت ديكوراته. أفى وسع الإنسانية – الآن – وقد تقدم بها العلم فى أعماق الأرض وفى أجواء الفضاء وآفاقه . أفى مقدورها الآن أن تقوم برحلة أيا كان قصرها قبل أن ينطبق جفن العين، مجرد رحلة فضلا عن أن يكون المنقول فيها عرشا عظيما مثل عرش بلقيس؟!

أم أن الإنسانية عاجزة كل العجز – الآن – عن القيام بأدنى فرض فى هذا المجال. وستظل عاجزة كل العجز عن مثل ما أجراه الله على يد سليمان عليه السلام منذ مئات القرون. نعم هى عاجزة – الآن – وستظل عاجزة بعد الآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم نعود فنسأل :

أبعد هذا كله يقال: أن معجزات عيسى عليه السلام فوق معجزات «البشر» وهم يقصدون من هذا أخوانه الأنبياء والرسل، فليس بين هذه المعجزات من حيث هى معجزات فاضل ومفضول، فما من فضل آتاه الله عيسى ألا وقد آتى رسله مثله، وبقى الجميع متساويين فى عقيدة المؤمن الحق فى أنهم رسل الله المكرمون المنصورون. أنهم رواد اصطفاهم ليعبدوا الطريق أمام خاتم النبيين فأيد كلا منهم بما على مثله آمن البشر. فأدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة ورضى الله عنهم ورضوا عنه.

ولم يدع رسول واحد منهم أن ما جاء به من معجزات كانت من صنعه هو، فقد كانوا أمناء فيما يقولون عارفين حدودهم فالتزموها ولم يخرجوا عنها، طالبين من الناس أن يعبدوا الله رب الجميع، متضافرين على غرس عقيدة التوحيد فى قلوبهم.

وقد حرص القرآن الأمين على أن يرفع كل لبس عند قصه نبأ المعجزات، فقد اسندها إلى فاعلها الحقيقى وهو الله. ومن يعد إلى نصوص القرآن فيما ذكرناه من معجزات يجد هذا المنهج واضحاً جليا.

فمع إبراهيم عليه السلام قال: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ولم يقل أن إبراهيم قال يا نار كوني بردا وسلاما علي.

وفي إحياء الطير قال: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وكان الله هو الذي رسم له خطة التجربة.

وفي معجزات موسى كان هذا التعبير: «فاضرب بعصاك البحر» و«فاضرب بعصاك الحجر» و«ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا».

وفي إحياء الميت قال: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ وفي داود قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ وفي سليمان قال: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾.

وفي معجزات عيسى صدرها بقوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

ثم عقب معجزاته واحدة واحدة بقوله «بإذن الله» في الأخبار عن قول عيسى على السلام و«بإذني» في حكاية قول الله ممتنا على عيسى عليهم السلام اجمعين. أيقال بعد هذا أن معجزات عيسى لم يعملها أحد غيره..؟!

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٤ – ٣٦].

- **رابعا: موته ورفعه للسماء:**

لم يطل البابا في هذا الفرع، فاكتفى بأن ساق آية آل عمران ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وقد أهمل البابا الجزء الأخير من الآية، والذي تراه مخطوطا أسفله، ثم علق عليه بقوله:

«والمسيحية تؤمن بموت المسيح، وصعوده إلى السماء، ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقي الأمر عجبا».

وحيث لم يطل، فإننا لن نطيل في مناقشته هنا، ونكتفي من جانبنا بإثبات ملحوظتين:

الأولى: أن أراد البابا بإيراده هذه الآية إثبات خاصية إلى المسيح عليه السلام لم

يشركه فيها أحد من الأنبياء، تمهيدا لما يبنونه عليها وعلى مثيلاتها من الحكم بربوبية عيسى عليه السلام رددنا عليه دعواه من وجهين.

الأول : أن الرفع قد صرح به فى القرآن الحكيم بعد اثبات « التوفية » وهناك اختلاف كبير بين العلماء والمفسرين. ففريق منهم يرى أن عيسى عليه السلام توفاه الله ثم رفعه إليه. وعلى هذا فلا مزية لعيسى عليه السلام على أخوانه الأنبياء والمرسلين.

الثانى : أن الرفع حدث له عليه السلام وهو حى ووجهوا تقديم التوفية عليه حيث قال « متوفيك ورافعك إلى » بأن التقديم مع حرف العطف الذى هو « الواو » لا يقتضى تقديم التوفية فى الترتيب الوقوعى، لأن الواو لمطلق الجمع، يعطف بها السابق على اللاحق واللاحق على السابق، كما يعطف بها أحد المتصاحبين على الآخر، وهذا لا خلاف فيه عربية، والقول بأنه رفع حيا هو الأرجح عند العلماء.

وحتى على هذا الرأى – كذلك – لا مزية لعيسى عليه السلام فيه على جميع الأنبياء، فقد اشترك فيه معه نبى الله أدريس عليه السلام، ونذكر للقارئ ما ورد فى هذا الشأن عند المفسرين حين فسروا قوله تعالى فى شأن إدريس ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٧].

جاء فى تفسير الفخر الرازى[١] : ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ فإن الله تعالى شرفة بالنبوة، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم، ونظر فى علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلد. **ثانيهما** : أن المراد به الرفعة إلى المكان العالى. وهذا أولى، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة ثم اختلفوا – أى القائلون برفعة المكان – فقال بعضهم أن الله رفعه إلى السماء وإلى الجنة وهو حى لم يمت، وقال آخرون بل رفع إلى السماء وقبض » (أى بعد الرفع) وروى هذا الرأى الأخير ابن عباس عن كعب[٢].

ونقل الزمخشرى هذا الرأى « رفعه حيا » وعز روايته إلى أنس بن مالك مرفوعا كما عزاها إلى ابن عباس مرة، وإلى الحسن رضى الله عنه مرة أخرى[٣].

---

(١) (جـ ١ ص ٢٣٣) . (٢) الكشاف (جـ٢ ص ٥١٣) .

(٣) روح المعانى (جـ ٦ـ ص ١٠٦) وانظر – أيضا تفسير القرطبى (جـ ١١ ص ١١٧ ، والنسفى (جـ ٢ ص ٣٩) .

ويفيض صاحب روح المعانى فى هذا ثم يقول:

« وأكثر القائلين برفعه حسا – حيا – قائلون بأنه حى حيث رفع » ثم يذكر رواية عن قتادة كالتى مرت فى الرازى عن ابن عباس أنه رفع ثم مات حيث رفع، ويعلق صاحب روح المعانى على هذه الرواية فيقول: « وهو شاذ » .

فها هو ذا إدريس عليه السلام اشترك مع عيسى عليه السلام فى أن كلا منهما قد نص القرآن على أن الله « رفعه » وأن العلماء اختلفوا فى رفع كل منهما هل كان بعد الموت أو قبله، وهل هما الآن حيان أم ميتان. ومن هذا كله نستبعد – فى يقين – استئثار عيسى بهذه الخاصة دون جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

● **الملحوظة الثانية** :

وهى من وادى اللغة ذلك أن البابا قال « والمسيحية تؤمن بموت المسيح **وصعوده** إلى السماء « وكان الصحيح أن يقول «**ورفعه إلى السماء**» بدل « صعوده » ولا تظنن أن الكلمتين بمعنى واحد وأن كان هذا متبادرا إلى الفهم، لأن بين دلالة الكلمتين فرقا كبيرا جدا فى اللغة، وفى الاعتقاد.

ولا أظن أن البابا يخفى عليه ذلك الفرق بين مدلول الكلمتين، كما أننى لا أستطيع أن أقنع نفسى بأن البابا لم يقصد معنى « صعوده » قصدا، ويهمل معنى « رفعه » إهمالا مقصودا.

فالفعل « رفع » فعل متعد يفتقر بعد فاعله إلى مفعول يقع عليه ما دام هو متعديا إلى مفعول واحد.

أما الفعل « صعد » الذى اشتق منه « صعوده » مضافا إلى عيسى عليه السلام فهو فعل لازم، والفعل اللازم مكتف بفاعله وليس به حاجة إلى مفعول هكذا تقضى قواعد اللغة العربية.

وإنما أهمل البابا كلمة « رفعه » وهو مصدر مضاف إلى مفعوله مع أن هذا الفعل هو الوارد فى النصوص الشرعية المقدسة، وفى مقدمتها القرآن الحكيم. لأن استعماله بحسب اللغة يستلزم فاعلا للمصدر، تبعا لفعله ويستلزم مفعولا يقع عليه.

فإذا فصلت هذا الاجمال كانت أجزاء التركيب المضمر ثلاثة هى: الفعل + الفاعل + المفعول . فالفعل هو « رفع » والفاعل هو « الله » والمفعول الذى وقع عليه الفعل هو « عيسى » عليه السلام.

أما الفعل « صعد » الذى آثره البابا فاشتق منه مصدره المضاف وهو « صعوده » فلا يستلزم – بحسب قواعد اللغة إلا جزءين يتم بها التركيب. وهما: الفعل + الفاعل . فالفعل هو « صعد » والفاعل هو « عيسى » عليه السلام.

ولاشك أن المناسب إلى عقيدة البابا هو « صعوده » دون « رفعه » اشعارا بأن عيسى عليه السلام صعد بنفسه ولم يرفعه رافع ولو كان الرافع هو « الله » جلت قدرته. وهذا يتسق مع عقيدة النصارى فى عيسى عليه السلام إذ يدعونه « الرب يسوع » ومن كان ربا فهو ليس فى حاجة إلى أن **يرفعه** رافع، وإنما يصعد هو صعودا !!

أفلست معى – أنت – فى أن هذه الدلالة الدقيقة مقصودة قصدا، ولم يجربها القلم اعتباطا، ولا هى من محض الصدف، ولا من باب المشتركات اللفظية التى يدعونها فى أصول اللغة مترادفات ..؟!

● **خامسا : صفات المسيح الأخرى :**

لم يذكر البابا فى هذا القسم سوى قوله تعالى واصفا عيسى عليه السلام : ﴿ **وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ ثم قال :

« وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوا عجيبا. وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس » هذا كلامه. أما نحن، فمع أن كلام البابا لم يغير من عقيدتنا شيئًا مما هو معلوم ومعتقد لنا عن جميع أنبياء الله ورسله، فإننا رجعنا إلى ما قاله المفسرون فى شرح هذه العبارة فرأينا الآتى :

« وجيها » أى شريفا ذا جاه وقدر .. القرطبى (جـ ٤ ص ٩٠).

« والوجاهة فى الدنيا النبوة، وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة » الكشاف (جـ ١ ص ٤٣٠) .

« وأما عيسي عليه السلام فهو وجيه فى الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص بسبب دعائه، ووجيه فى الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين، ويقبل شفاعته فيهم، كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام » الفخر الرازى (جـ ٨ ص ٥٠) .

« وجيها » ذا قدر وجاه « فى الدنيا » بالنبوة والطاعة « وفى الآخرة » بعلوالدرجة والشفاعة .. النسفى (جـ ١ ص ١٥٨) .

« وجيها فى الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر، وقيل الكريم على من يسأل فلا يرد لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد، ووجاهته فى الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس (يعنى معاصريه) وفى الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته » .

« وقيل وجاهته فى الدنيا بقبول دعائه بإحياء الموتى، وابراء الأكمة والأبرص، وقيل بسبب أنه كان مبرءاً من العيوب التى افتراها عليه اليهود – يعنى قولهم أنه ابن زنا – وفي الآخرة ما تقدم » روح المعانى (جـ ٣ ص ١٦٢) .

هذه مذاهب خمسة من كبار المفسرين فى معنى « وجاهة عيسي فى الدنيا والآخرة » وهي محصورة فى الدنيا بأمرين هما : **النبوة** ويتدرج تحتها قبول الدعاء والكرم **والثانى** : البراءة من العيوب التى رماه بها اليهود .

ومحصورة فى الآخرة بأمرين هما : **قبول** شفاعته فى مؤمنى أمته فى زمانه والثانى علو درجته فى الجنة .

وهذان لم يخرجاه عن نطاق « البشرية » كما لم يميزاه عن أخوته الأنبياء فكلهم كان مبرءاً من العيوب الخلقية والخلقية فى الدنيا، وكلهم ذو شفاعة فى الناس يوم القيامة، ولكنها شفاعة محدودة . وكلهم ذو درجة عالية في الجنة بل أن الشفاعة يشترك فيها عباد الله الصالحون من غير الأنبياء، مع الأنبياء والمرسلين . وقد ورد فى هذا نصوص كثيرة عن الصادق المصدوق ﷺ منها قوله عليه السلام : « فإن لكل أخ صالح يوم القيامة شفاعة » .

وبقيت كلمة واحدة حول حديث البابا عن المسيح عليه السلام، وهى خاصة ببراءته من الخطايا، ونحن نتفق مع البابا فى هذا المبدأ، ونختلف معه فى تخصيصه بعيسى عليه السلام إذ الأنبياء كلهم معصومون من الخطايا، وما جاءوا هم من عند ربهم إلا ليحولوا بين عباده وبين ارتكاب الخطايا والآثام ولا يقدح فى هذا أن موسي عليه السلام قتل رجلا من المصريين، لأن العبرة فى البواعث لا فى الفعل نفسه . وما حمل موسى على هذا الفعل إلا متأولا . على أن العرض القرآنى لهذه الواقعة لا يفيد إلا هم موسى عليه السلام بالوكز للزجر والدفع لا بقصد القتل . ولو أن هذه الواقعة حدثت فى عصرنا لكان نظر القانون إليها على أنها قتل خطأ لا عمد ولا اصرار فيه إذ هى ضرب أفضى إلى الموت كما يقول القانونيون المعاصرون .

وهذا هو عرض القرآن الأمين للواقعة :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الواقعة : ١٥ – ١٦].

أن عنف الدوافع إلى هذا الوكز، جعلت موسى عليه السلام يتضرع إلى ربه في ندم وتوبة، وعلم الله بحالة موسى حين فعل ما فعل كان سببا فى سرعة عفو الله وغفرانه ذنبه.

ويمضى البابا فيذكر حديثا شريفا يقول فيه راويه – على حد تعبير البابا نفسه: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مولود من آدم إلا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه أياه، إلا مريم وابنها».

وردنا على استشهاده هذا من وجهين:

الأول: أن القاضى عبدالجبار ناقش هذا الخبر وقال أنه خبر آحاد على خلاف الدليل، وأخبار الآحاد – كما نعلم – لا يبني عليها دليل يقينى: فهذا رد للحديث من جهة الرواية، ثم اتبعه القاضى برد آخر من جهة الدراية فقال:

«وذلك لأن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من له تمييز» يقصد أن الطفل حين يولد لا يكون له تمييز فكيف ينخسه الشيطان بمعنى يدعوه إلى الشر وهو لا أدراك له.

وقد تعقب الألوسى فى تفسيره روح المعانى الذى استيقنا منه هذا النقد فقال:

«الأخبار فى هذا الباب كثيرة وأكثرها وارد فى الصحاح والأمر لامتناع فيه، وقد أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فليتلق بالقبول» [1] أ – هـ.

ونحن مع الألوسى فيما قرره، نلتقاه بالقبول خاصة وأنه قد ورد فى صحيحى البخارى ومسلم، ولا شأن لنا بما أورده عبدالجبار من طعن فى الخبر المذكور، ولكننا مع عبدالجبار حيث يقول: ولماذا اختص عيسى عليه السلام وأمه من بين سائر الأنبياء؟

ولن نقف طويلا مع هذا التساؤل الذى أورده القاضى عبدالجبار، فإنه على حق فيما قال حول اختصاص عيسى وأمه. ودليلنا على هذا ليس هو القاعدة العامة بعصمة الأنبياء فحسب، بل أن خبرا كهذا قد ورد فى شأن يحيى عليه السلام.

---

(١) روح المعانى (جـ ٣ ص ١٣٧).

فقد روى أبو صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه، يعذبه عليه أو يرحمه أن شاء ألا يحيى ابن زكريا، فإنه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين» وفى رواية الترمذى فى نوادر الأصول، والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد من ولد آدم ألا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يهم بخطيئة ولم يعملها» وروى عكرمة عن ابن عباس نحو ذلك.

وفى تفسير ابن جرير الطبرى فى توجيه قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم[1] .. فإذا كان عدم نخس الشيطان لعيسى عليه السلام هو حفظه من الخطايا فإن يحيي عليه السلام قسيمه فى هذا، فسلام مولده عاصم له من نخس الشيطان وقد تعددت الروايات التى تنص على أنه لم يذنب قط.

وليس لنا من هدف فى هذه المقارنات ألا أن ندفع غلوا رأيناه واضحًا فى مقال البابا، فاردنا أن نرى القارئ أن ما من فضل أتاه الله عيسى عليه السلام إلا وآتى أخوانه الأنبياء والرسل فضلا مثله، وتلك نعم الله يهبها من شاء من عباده بحكمة وقدر. بل أن يحيى هذا عليه السلام قد وصفه الله بوصف لم يصف به أحدا من الأنبياء والرسل فضلا عن عامة الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ ومع انفراد يحيي عليه السلام بهذا الوصف، لم يقل أحد بأن يحيي أفضل المرسلين والنبيين، لأن لهذا الفضل مقاييس أخرى ستعرفها إن شاء الله حين تأتى مناسبتها من هذه المواجهة ومن الخصائص التي انفرد بها يحيى كذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ كما اختص إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ ولم يقل أحد بأفضلية إسماعيل على سائر المرسلين، وليس معنى هذا - كذلك - التعريض بغيره من المرسلين بأنهم لم يكونوا صادقى الوعد. وإنما هذه كلها أوصاف أجراها الله على من أجراها عليه وهو العليم الخبير.

وصفوة القول: لم تكن معجزات نبي من الأنبياء سببا فى خروجه عن نطاق «البشرية» ولا هذا هو معتقد مؤمن صحيح الإيمان، وليست معجزات عيسى عليه

---

(١) راجع فى هذه النقول: تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٧٨) وروح المعانى (جـ١٦ ص٦٥) وتفسير الفخر الرازى (جـ٢١ ص ١٨٦).

السلام بأعجب من معجزات غيره من رسل الله ومصطفيه، بل فى معجزات بعضهم ما هو أدخل فى باب الاعجاز – عند العقل – من بعض معجزاته . أو منها كلها.

وليس هذا تجنيا على عيسى عليه السلام، وإنما هو الحق الذى يجب أن يقال ونحن حين نفرق أو نقارن معجزاته عليه السلام بمعجزات الأنبياء والرسل لا نفرق بينهم فى قداسة الإيمان بهم، وتصديقهم فيما بلغوه عن ربهم، ولو أن رجلا آمن وصدق بكل الأنبياء ثم شك أو ارتاب حول «رسالة» وأحد منهم، أيا كان ذلك الواحد.. فلا إيمان له عند الله، ولهذا فإننا نسوى فى الإيمان بينهم كلهم ونفضل – بعد ذلك – من فضله الله لا هوى من عند أنفسنا ولكن إيمان – كذلك – بقوله تعالى وهو مصدر الصدق والتوجيه :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

القضية الخامسة : ادعاؤه أن بنوة المسيح لله – سبحانه – لا تنافى التوحيد؟! وتقوم هذه الفكرة عند البابا على ثلاثة دفوع :

الدفع الأول : أن القرآن ميز تمييزا واضحا بين الطوائف فذكر اليهود وذكر الصابئين، وذكر المشركين، ثم أبى أن يجعل النصارى إلا قسما متميزا. فلو كانوا مشركين – على حد تعبيره – لما ميزهم عن تلك الطوائف. ولما كان هناك معنى لتمييزهم؟!

الدفع الثانى : أن بنوة عيسى لله ، ليست بنوة جسدية تناسلية، لأن البنوة فى «اللاهوت» هى «كبنوة الفكر للعقل . العقل يلد فكرا وليست له صاحبة»؟!

ويبنى على هذا الدفع قوله : «والمسيحية لم تقل فى يوم من الأيام بالوهية العذراء مريم، بل أن مريم نفسها تقول فى الإنجيل أنها «أمة الرب» فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله ...؟!

الدفع الثالث : أن ثالوث المسيحية ليس ثالوثا وثنيا كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الآله : أوزريس ، والإلهة ازيس وابنهما الآله حوريس، المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله إنما تؤمن بالتوحيد.

ثم يقول : «فالله هو جوهر إلهى[1] أو ذات الهية له عقل وله روح والثلاثة واحد..»؟!

---

(١) راجع الكشاف (جـ ٢ ص ٦٣٧) .

ثم يضرب مثلا على صحة مدعاه فيقول : « كالنار لها ذات، هى النار، وتتولد منها حرارة، وينبثق منها نور. والنار بحرارتها ونورها شيء واحد ...»؟! هذه هى دفوع البابا فى ادعائه المذكور. وها نحن أولاء نواجهه على هذا الترتيب.

● **مواجهة الدفع الأول :**

يستدل البابا بقوله تعالى : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٨٢] وحجته – هنا – أن القرآن الكريم ميز بين النصارى وكل من اليهود والذين أشركوا.

ويستدل – كذلك – بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [الحج : ١٧].

أما الآية الأولى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً** ﴾ فلها سبب نزول منصوص عليه فى كتب التفسير فهى تصف طائفة – فعلا – بكت من خشية الله وهم النجاشى وقومه. ومع هذا الخصوص الذى يفهم من سبب النزول فنحن نشهد – كذلك – للحق وللحق وحده أن النصارى الصق مودة بالمؤمنين، وأكثر جوارا ومساعدة، وأن منهم كثيرين وكثيرين يتوادون ويتحابون مع المسلمين ويتبادلون فيما بينهم صنائع المعروف وهذا هو الغالب على أبناء الشعوب المسيحية، وعندنا هنا فى مصر أروع الأمثلة على تلك المودة إذ لا تفرقة ولا تمييز، وفى كثير من المواضع تلاصق الكنيسة المسجد وكل منا يعبد الله حسب عقيدته. وأفراح المسلمين تعج بجيرانهم النصارى، وأفراح النصارى يشترك فيها جموع من المسلمين. يتبادلون التهانى فى المناسبات الطيبة، ويتعازون فى المصائب ويواسي بعضهم بعضا.

نحن لا ننكر ذلك أبداً، ولا ندعى أن صلتنا بالنصارى مثل صلتنا باليهود ولا ندعى أن قلوب كل النصارى موغرة ضد المسلمين. كل هذا باطل ومدعيه مجانب للحقيقة.

وإنما الذى ننكره ونواجهه بكلمة الحق هو أن يحاول فريق من أى منا مسلمين أو نصارى ليعكر هذا الصفو، ويذرع العداوة والبغضاء بين أبناء الملتين. وهذا ما يفعله

بعض رجال الكنيسة فى بعض الأحيان. فالعلاقات بين عامة المسلمين وعامة المسيحيين – هنا فى مصر بالذات – طيبة إلى أبعد الحدود، ولكن حين يصدر مقال أو كتاب، أو نشرة تهاجم عقيدة المسلم فإن على رجل الدين الإسلامى أن يتصدى لها دافعا الحجة بالحجة والفكر بالفكر. ونحن نقول ما نقول صراحة وعلنا ولا ندرى ما يقال من قبل بعض رجال الكنيسة إلى الشعب المسيحى، وبعضه يوغر صدورهم نحو جيران لهم مسالمين آمنين لا يضمر دينهم شرا لأحد بل وصاهم بحسن المعاملة وأن لا يفتنوا أحدا فى دينه.

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و **﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾** .

ونحن نتمنى أن يلتزم كل منا حدوده فلا يعتدى على عقيدة الآخر. فالفتنة نائمة لعن الله موقظها .. ولا يسعنا فى هذا الصدد إلا أن نقول لكل مخالف لنا فى العقيدة أو الرأى :

« اعترف لنا بحقنا فى الحياة نعترف لك بذلك الحق. أمنا على حاضرنا ومستقبلنا لا نجد طريقا لمعاداتك ».

أما الآية الثانية **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾** .. إلخ فلا حجة للبابا فيها فإن تمييز النصارى عن بقية الطوائف المذكورة فيها لا يفهم منها أبداً أن الإسلام يقر النصارى على ما هم عليه من عقيدة التثليث وانكار رسالة خاتم النبيين، ثم يعتبرهم فريقا متميزا ثابتًا على الحق أو موحدين لأن الآية إنما ذكرت تلك الطوائف وهم الذين آمنوا. واليهود – والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، لأن كل طائفة منها عقيدة تخالف الأخرى وقد قدم المؤمنين على بقية الطوائف، لأنهم هم وحدهم الذين صدقوا بما أنزل الله على سائر رسله، ثم عدد بعدهم بقية الطوائف على أساس اختلاف عقيدة كل طائفة عن الأخري فهم مختلفون مجتمعون :

مختلفون فى كنه العقيدة. فعقيدة اليهود غير عقيدة الصابئين، وعقيدة هؤلاء الصابئين غير عقيدة المجوس وغير عقيدة النصارى إلخ.

ومجتمعون حيث أنهم جميعا يجمعهم وصف واحد وهو مخالفة للحق الكلى الذى يجب أن يتبع. فالكفر كله ملة واحدة.

وحرصا من الإسلام على حسم الجدال بين هؤلاء الطوائف، وترك التخاصم الجدلى فوضت الآية الكريمة أمر الفصل بينها إلى الله يوم القيامة «إن الله يفصل بينهم».

أتدرى لماذا؟ لأن الخلافات الدينية الكبرى لا يملك الفصل فيها أحد فى هذه الدنيا، لأن العثور على حكم مجرد غير ممكن فيها. فإذا اختلف يهودى ومسيحى فهل يحتكما إلى مسلم؟ كلا. لأن كلا منهما يفترض فيه خصومة فحكمه -إذن- غير مقبول.

وكذلك لو اختصم اليهود والمسلمون لدى نصرانى، أو اختصم المسلمون والنصارى لدى اليهود. فإن الشعور بالخصومة لا يكاد يفارق أحداً ممن ذكرنا.. وبناء على هذا فإن «الحكم المجرد» فى الخلافات الدينية الكبرى القائمة بيننا لا يمكن العثور عليه فى حياتنا الدنيا. ومن أجل هذا كله اختص الله نفسه بالنظر فى هذه القضية، فقوله وحده هو المسموع فيها، وحكمه وحده هو المقبول فيها وهو حكم مقرون بالنفاذ مثوبة وعقوبة، فلنرجىء الفصل إليه وليكف كل منا عن أذى الآخر حتى نلقاه.

- **مواجهة الدفع الثانى والدفع الثالث :**

كان تصوير الدفع الثانى عند البابا هو أن بنوة عيسي لله - سبحانه - ليست بنوة جسدية تناسلية وإنما هى بنوة روحية كبنوة الفكر للعقل، ولن نطيل معه فى هذا الدفع لأن الفكرة المقيسة هنا، وهى فكرة بنوة عيسى لله - سبحانه - تختلف كل الاختلاف عن الفكرة المقيس عليها، وهى صلة الفكر بالعقل، وصلة حرارة النار ونورها بالنار. فعيسى عليه السلام مولود قطعا لأم معروفة. حملت به كما يحمل النساء، ووضعته كما يضعن. وعيسى عليه السلام جسد وروح وعقل متميز تماما عن أمه كما تميز الأطفال عن أمهاتهم. لكل منهم كيانه المستقل. يحس ويشعر ويأكل ويشرب ويصحو وينام ويتألم ويسعد. له بداية، وله نهاية. وهيكله الجسدى لم يبق بعد زواله.

بينما الفكر معنى من المعانى يدرك بالذهن وليس له صورة ولا شكل ولا لون ولا تميز يشغل به حيزا من الفراغ. ومع هذا الفارق الجوهرى بين ما يريد إثباته البابا من بنوة عيسى لله - سبحانه - وبين الفكر من حيث صلته بمصدره العقل، فإن أحدا لم يقل أن الفكر ابن العقل وهو يعنى أنما يقول حقيقة إلا على ضرب من المجاز والتأويل.

وما يقال في صلة الفكر بالعقل يقال في صلة الحرارة والنور بمصدرهما النار؟ فليست الحرارة شيئًا غير النار وليست النار شيئًا غير الحرارة، ولكنهما متلازمان فبلوغ الحرارة درجة معينة تتولد عنه النار بحيث لا يدرى أيهما بنت الأخرى كما لا يدرى الفرخة بنت البيضة أم البيضة بنت الفرخة. والنور أمر اعتبارى وأن بدا له لون فى الظاهر فليس له جسم ولا حجم ولا وزن.

ومع هذا كله فليست بنوة النار للحرارة، أو الحرارة للنار، أو النور للنار، ليست هذه كلها بنوة حقيقية كما يلزم من قولكم ببنوة عيسى لله – سبحانه – لأن فى بنوة عيسى لله – سبحانه – فصلتم بين «الأقانيم» أو العناصر فصلا واضحًا، وهو كذلك في الواقع. فالله ليس هو عيسى، ولا عيسى هو الله «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وهذا يلزمكم بالتسليم بوجود «الصاحبة» لله – سبحانه – لأنها موجودة فى الواقع – مريم أم المسيح – فلا تستطيعون التخلص منها وإن حاولتم فلن يقنع أحد بما تقولون، إلا أن يلغى ذلك «الأحد» عقله وفكره.

وكنا لا نريد أن نحرجك بكلام قاله أحد مرءوسيك الذى تصفونه في كتاباتكم بالكاتب القدير، وهو الأستاذ يسى منصور حيث يقول فى كتابه: رسالة التثليث والتوحيد» ص ٢٦٠ كما نقل عنه الأستاذ محمد مجدى مرجان فى كتابه المعروف[1].

قال الأستاذ يسى منصور: «أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حى (!) وأقنوم متميز، ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن، ومساو لهما فى السلطان والمقام، ومشترك وإياهما فى جوهر واحد. وقبل هذا قال فى كتابه المذكور ص ٤٥ وما بعدها:

«إن الروح القدس هو الله الأزلى، فهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة. وهو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء، والحاضر فى كل مكان وهو السرمدى غير المحدود».

وكلام الأستاذ يسى منصور الكاتب القدير يحمل تناقضين، احدهما مع ما قد قررتموه أنتم فى تشبيه بنوة عيسى لله – سبحانه بكل من بنوتى الفكر للعقل والحرارة والنور للنار.

---

(١) الله واحد أم ثالوث؟ (ص ١١٦).

وثانيهما مع ما قرره هو فى نصه السابق على هذا النص. وإليك البيان :

● **أولاً - تناقضه معكم :**

فى تمثيلكم بنوة عيسى لله - سبحانه - ببنوة الفكر للعقل، والحرارة والنور للنار ذهبتم إلى القول بالوحدة «المعنوية» وهذا قولكم «والنار بنورها وحرارتها شىء واحد».

بينما الكاتب القدير يخالفكم ففى حديثه عن الروح القدس «الأقنوم الثالث» يقرر أنه «ذات، وشخص حى» وأنه «متميز» وأنه «غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن» وأنه «مساو لهما فى السلطان والمقام» أى للأقنومين الأول والثاني. وبهذا التمييز والتشخص الحي، والمساواة فى السلطان والمقام لا يصبح لقولكم «والنار بنورها وحرها شىء واحد»؟!! وليس هذا بالشىء الهين عند الفكر والعقل ألست معنا في هذا الفهم؟!

● **ثانيا - تناقضه مع نفسه :**

فالأستاذ يسى منصور أثبت فى النص المنقول عنه من ص ٤٥ من كتابة المذكور أن الروح القدس هو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء. مع أن هذا لم يسلم له لأن «الكلمة» صادرة عن «الآب» فهى له - أذن - وليست للروح القدس فأين ادعاء خلق كل شىء للروح القدس أذن؟ والأب هذا هو الذات. فهل هو ذات بلا روح؟! وإن كان الأمر - كذلك - فهل ترقى ذات لا حياة فيها فتصبح الاها؟ وإذا كانت ذات روح فهل هى روح القدس؟ وإن كان الأمر كذلك فهل روح القدس هى الموجدة للذات لتقوم بها، وإذا كان الأمر كذلك فهل احتياج الروح القدس إلى الذات ضرورى. أن قال ضرورى نقل أن تلك الروح ليست ذات كمال مطلق لاحتياجه إلى ذات تقوم بها، وأن قال غير ضرورى كان خلق الذات عبثا فلا يصح أن تكون الاها.

وإن قال أنها روح أخرى غير الروح القدس قلنا. فلماذا أهملتم تلك الروح فلم تجعلوها اقنوما رابعا؟

وإذا كان الروح القدس مساويا للأب والابن فى السلطان والمقام أليس وجود واحد منها «الأقانيم الثلاثة» مغنيا عن وجود الاقنومين الآخرين وحتى هذا الذى يفلسفه الكاتب القدير يسى منصور من ادعاء التساوى بين كل من الأقانيم الثلاثة يناقضه وينازعه واقع العقيدة عند المسيحيين كيف ...؟!

لأنهم جعلوا الله الآب مصدر العدل ..؟

وجعلوا الله الابن مصدر الرحمة؟
وجعلوا الله الروح مصدر النعمة؟
وعلى هذا فالله رقم واحد لا سلطان له فى مجالى الرحمة والنعمة؟
والله رقم اثنين لا سلطان له فى مجالى العدل والنعمة؟؟
والله رقم ثلاثة لا سلطان له فى مجال العدل والرحمة ؟؟
الست معنا – يا سيادة البابا – فى هذا الفهم ..؟

وكذلك فإنهم غير متساوين فى المقام. فما دام الله الروح القدس هو الموجود منذ البدء قبل الخليقة. فهو أعلى مقاما من الله الآب والله الابن . والله الآب أعلى مقاما من الله الابن، لأن الله الآب هو الناطق، والله الابن هو «المنطوق» فكيف اذن يقال أنهم متساوون فى المقام.

وبمراجعة جدول الاختصاصات المذكور أعلاه يتضح كذلك – أن الله الروح القدس هو المتصرف فى كل الأمور، لأن العدل والرحمة جزءان من كليات النعم؟

ثم كيف يقال – بعد ذلك التمايز الذى أثبته الكاتب القدير الأستاذ يسى منصور – كيف يقال أنهم فى «جوهر» واحد.

ولا غرابة فى هذا الاختلاف الذى لا يكاد يستقر على قدم فإن البابا نفسه عاد فناقض ما أثبته فى صورتى ولادة العقل للفكر، وولادة النار لكل من النور والحرارة. فبينما البابا يصرح بأن النار ونورها وحرارتها شىء واحد، توطئة لقبول فكرة التوحيد التى يقول بها مع اعتقاد التثليث. يعود فى نهاية المقال فيقول:

«فليس معنى كل ما قلناه أن القرآن والمسيحية شىء واحد. كلا. فهناك خلافات جوهرية منها **التثليث والتجسد** ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة والقرآن نفسه».

أفليس هذا رجوعا عما حاول البابا إيهام القارىء من إمكان اعتبار المثلث موحدا. ومن نفى التثليث الوثنى عن معتقد النصارى «المثلث»؟! سمه رجوعا، أو سمه تناقضا، وبأى اسم سميته فإن مؤداه الذي لا يرتاب فيه ذو نظر أن التثليث إشراك. كيفما فسر وعلى أى وجه وجهوه.

وأن التوحيد إيمان وبين التوحيد والتثليث، والاشراك والإيمان ما بين النور والظلمات. فأنى يلتقيان ...؟!

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ – ٦٣] .

* * *